سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله

تأليف

يوسف بن إسماعيل النبهاني

بعناية

بسام عبد الوهاب الجابي

الجفان والجابي

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

ترجمة المؤلف :

ترجم النبهانيُّ نفسَه عقب أوّل كتاب طبعه من تأليفه ، وهو كتاب « الشرف المؤبد لآل محمد » الذي طبعه عام ١٣٠٩ هـ[1] = ١٨٩١ م ، وتضمّنت معظم كتبه إشارات إلى حياته الخاصة ، بل إلى دقائق من حياته العائلية أيضاً ، وأهم الكتب التي تضمّنت ذلك كتابان : « أسباب التأليف من العاجز الضعيف » و « جامع كرامات الأولياء » .

وسأوردُ على لسانه ترجمة نفسه باختصار .

---

(١) في هذا العام ١٣٠٩ هـ طبع ثلاثة كتب ، ويبدو أنه طبعها معاً ، لكن النبهاني نفسه يصرح بأن أوّل كتاب طبعه هو « الشرف المؤبّد » راجع « أسباب التأليف » : ٣٣٣

نسبه ، بلده ، مولده :

يقول[١] :

أنا الفقير يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن محمد ناصر الدين النَّبْهَانيّ ، نسبة لبني نبهان ، قوم من عرب البادية ، توطّنوا منذ أزمان قرية إجْزِم[٢] - بصيغة الأمر - الواقعة في الجانب الشمالي من أرض فلسطين من البلاد المقدسة ، وهي الآن تابعة لقضاء حيفا ، من أعمال عكا في ولاية بيروت .

ولدتُ في القرية المذكورة سنة خمس وستين [بعد المئتين والألف] تقريباً ، [أي : ١٨٤٩ م] .

نشأته وتعلمه :

يقول[٣] :

قرأتُ القرآنَ على سيّدي ووالدي الشيخ الصالح الحافظ المتقن لكتاب الله : الشيخ إسماعيل النَّبْهَانيّ ، وهو الآن في عشر الثمانين[٤] ،

(١) « الشرف المؤبّد لآل محمد » الطبعة الأولى ، صفحة ١٤٠

(٢) تقع قرية إجْزِم على بعد ٢٨ كم جنوبي حيفا في فلسطين المحتلة ، على القسم الجنوبي من جبل الكرمل ، على ارتفاع ١٠٠ متر فوق سطح البحر .

(٣) « الشرف المؤبّد لآل محمد » الطبعة الأولى ، صفحة ١٤٠

(٤) كتب هذا الكلام عام ١٣٠٩ هـ .

كامل الحواس ، قويّ البنية ، جيّد الصحة ، مستغرق أكثر أوقاته في طاعة الله تعالى .

كان ورده في كل يوم وليلة ثلث القرآن ، ثم صار يختم في كلّ أسبوع ثلاث ختمات . والحمد لله على ذلك . ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون ﴾ [١٠ سورة يونس/الآية : ٥٨] .

ثم أرسلني ـ حفظه الله ، وجزاه عني أحسن الجزاء ـ إلى مصر لطلب العلم .

فدخلت الجامع الأزهر يوم السبت غرّة المحرّم الحرام افتتاح سنة ثلاث وثمانين بعد المئتين والألف ، (أي : في ١٦ أيار/مايو ١٨٦٦ م) . وأقمتُ فيه إلى رجب سنة تسع وثمانين ، (أي : تشرين أول/ أكتوبر ١٨٧٢ م) .

وفي هذه المدة أخذتُ ما قدّره الله لي من العلوم الشرعية ووسائلها عن أساتذة الشيوخ المحقّقين ، وجهابذة العلماء الراسخين ؛ من لو انفرد كلّ واحد منهم في إقليم ، لكان قائد أهله إلى جنّة النعيم ؛ وكفاهم عن كلّ من عداه في جميع العلوم ، وما يحتاجون إليه من منطوق ومفهوم .

أساتذته وشيوخه :

يقول[1] :

أحدهم ، بل أوحدهم : الأستاذ العلامة المحقّق ، والملاذ الفهامة

(١) « الشرف المؤبّد لآل محمد » الطبعة الأولى ، صفحة ١٤٠

المدقق ؛ شيخ المشايخ ، وأستاذ الأساتذة ، سيدي الشيخ إبراهيم السقا الشافعي ، المتوفى سنة ألف ومئتين وثمان وتسعين عن نحو التسعين . وقد قضى هذا العمر المبارك الطويل في قراءة الدروس ، حتى صار أكثر علماء العصر تلاميذه ؛ إما بالذات أو بالواسطة .

لازمتُ دروسَهُ ـ رحمه الله ـ ثلاث سنوات ، وقرأتُ عليه شرحيّ « التحرير » و « المنهج » لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري بحاشيتيهما للشَّرْقاوي والْبُجَيْرِميّ . وقد أجازني رحمه الله بإجازة فائقة .

ثم يقول[١] :

ومن أشياخي المذكورين :

سيدي الشيخ المعمّر العلامة السيد محمد الدمنهوري الشافعي ، المتوفى سنة ألف ومئتين وست وثمانين عن نحو التسعين سنة .

وسيدي العلامة الشيخ إبراهيم الزرو الخليلي الشافعي ، المتوفى سنة ألف ومئتين وسبع وثمانين عن نحو السبعين .

وسيدي العلامة الشيخ أحمد الأجهوري الضرير الشافعي ، المتوفى سنة ألف ومئتين وثلاث وتسعين عن نحو الستين .

وسيدي العلامة الشيخ حسن الْعَدَويّ المالكي ، المتوفى بسنة ألف ومئتين وثمان وتسعين عن نحو الثمانين .

---

(١) راجع « الشرف المؤبّد لآل محمد » الطبعة الأولى ، صفحة ١٤٢ .

وسيدي العلامة الشيخ السيد عبد الهادي نَجَا الأَبْيَارِيّ ، المتوفى سنة ألف وثلاث مئة وخمس ، وقد أناف على السبعين .

رحمهم الله أجمعين وجمعني بهم في مستقر رحمته بجاه سيد المرسلين . اهـ .

وأضاف على ذلك آخرين ، منهم[١] :

الشيخ شمس الدين محمد الأَنْبَابِيّ الشافعي ، شيخ الجامع الأزهر ، المتوفى سنة ١٣١٣ هـ .

الشيخ عبد الرحمن الشِّرْبِيني الشافعي ، شيخ الجامع الأزهر ، المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ .

الشيخ عبد القادر الرافعي الحنفي الطرابلسي ، شيخ رواق الشوام بالجامع الأزهر ، المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ .

الشيخ يوسف البرقاوي الحنبلي ، شيخ رواق الحنابلة بالجامع الأزهر .

وغيرهم كثير ، أورد بعضهم في كتابه « هادي المريد » وآخرون في « جامع كرامات الأولياء » .

ويقول النبهاني بعد أن تخرّج ورجع إلى قريته إجْزِم[٢] :

---

(١) راجع « الشرف المؤبّد لآل محمد » الطبعة الأولى ، صفحة ١٤٢

(٢) « أسباب التأليف » : ٣٣٢

فصرتُ أقرأُ بعضَ الـدروس الـدينيــة في عكا وقريتي إجْـزِم ، ثم سافرتُ مراراً إلى بيروت ثم إلى دمشق الشام ، واجتمعتُ بعلمائها الأعلام ، أجلّهم فقيهها وقتئذٍ شيخنا العلامـة الإمـام السيـد الشريف محمود أفنـدي حمـزة رحمــه الله تعـالى ، وقـد قرأت عليـه شيئـاً من أول « صحيـح البخاري » وأجازني بباقيه وبجميع مروياتـه ومؤلفاتـه بإجـازة مطوّلـة بإنشائه الفائق وخطه الحسن .

ثم توجهتُ إلى القسطنطينيـة مرّتين ، واشتغلتُ فيهـا عـدّة سنوات بتحرير جريدة « الجوائب » التي أُلغيتْ بعد ذلـك ، وتصحيح مـا يطبع في مطبعتها من الكتب العربية .

ويقول في مكان آخر عن سفره إلى القسطنطينية[١] :

ثم توجهتُ إلى القسطنطينية مرّتين ، أقمتُ فيها في كلّ مرة أكثر من سنتين ، فيسّر الله لي مطبعة جريـدة « الجوائب » فكنتُ آخـذ منهـا في كل شهر عشر ليرات أجرة التحرير والتصحيح ، ولا أشتغل بذلـك إلا نحو ساعتين أو ثلاث غالباً ، وكان ذلك بطلب صاحبها أحمـد أفنـدي فـارس وإلحاحه ، بحيث كان يعدّني من أكبر النعم عليه ، وأظهر الأسف الشديد لخروجي حينمـا تـوظّفت في الحكـومـة [قـاضيـاً] ، وقـد عرض عليّ أن أشاركه فيها أو يزيد في أجرتي ، فلم أقبل .

ثم يقول :

---

(١) « أسباب التأليف » : ٢٩٠

سافرت منها [أي : من القسطنطينية] في المرة الأولى إلى العراق بقضاء كوي صنجق في ولاية الموصل ، ثم رجعتُ ؛ وسافرتُ منها في المرة الثانية سنة ١٣٠٠ هجرية برياسة محكمة الجزاء في اللاذقية من سواحل الشام ، ثم بعد الإقامة فيها خمس سنوات نقلتني الدولة نصرها الله بواسطة من قدر الله الخيّر لي على أيديهم بدون طلب ولا علمٍ مني إلى رياسة محكمة القدس الشريف ، ثم بعد أقلّ من سنة [ثمانية أشهر فقط[1]] رقّوني بدون طلب ولا علم مني إلى رياسة محكمة الحقوق في بيروت ، وذلك سنة ١٣٠٥ هـ [أي : ١٨٨٨ م] اهـ .

ولما بلغ سن التقاعد أحيل على المعاش ، فانقطع إلى العبادة والتأليف . ثم سافر إلى المدينة المنورة وجاور هناك مدّة . ثم عاد إلى بيروت حيث توفي رحمه الله في أوائل شهر رمضان من سنة ١٣٥٠ هجرية . [أي : ١٩٣٢ م] .

مؤلفاته :

١ - « إتحاف المسلم بأحاديث الترغيب والترهيب من البخاري ومسلم » طبع عام ١٣٢٩ هـ .

٢ - كتاب « الأحاديث الأربعين من أمثال أفصح العالمين ﷺ » مطبوع .

---

(١) راجع « جامع كرامات الأولياء » ٥٢/٢

٣ ـ كتاب « الأحاديث الأربعين في فضائل سيد المرسلين ﷺ » مطبوع .

٤ ـ « الأحاديث الأربعين في فضل الجهاد والمجاهدين » مطبوع .

٥ ـ كتاب « الأحاديث الأربعين في وجوب طاعة أمير المؤمنين » مطبوع .

٦ ـ « أحسن الوسائل في نظم أسماء النبي الكامل ﷺ » مزدوجة في نحو ٣٠٠ بيت ، مطبوعة .

٧ ـ كتاب « الأربعين أربعين من أحاديث سيد المرسلين » طبع في بيروت ١٣٢٩ هـ .

٨ ـ « أربعون حديثاً في فضائل أهل البيت » .

٩ ـ « أربعون حديثاً في فضل أربعين صحابياً » .

١٠ ـ « أربعون حديثاً في أربعين صيغة في الصلاة على النبي ﷺ » .

١١ ـ « أربعون حديثاً في فضل أبي بكر » .

١٢ ـ « أربعون حديثاً في فضل أبي بكر وعمر » .

١٣ ـ « أربعون حديثاً في فضل عثمان » .

١٤ ـ « أربعون حديثاً في فضل علي » .

١٥ ـ « أربعون حديثاً في فضل عمر » .

١٦ ـ « أربعون حديثاً في فضل لا إله إلا الله » .

١٧ ـ « إرشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى » طبع بمصر ، ١٣٢٢ هـ .

١٨ ـ « الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة » طبع على

هامش « شواهد الحق » بمصر ، المطبعة الميمنية ، ١٣٢٣ هـ .

١٩ ـ « أسباب التأليف من العاجز الضعيف » مطبوع عقب « جامع كرامات الأولياء » .

٢٠ ـ « الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى » طبع مع « رياض أهل الجنة » .

٢١ ـ « الأسمى فيما لسيدنا محمد من الأسما » مطبوع .

٢٢ ـ « أفضل الصلوات على سيّد السادات » طبع ببيروت عام ١٣٠٩ هـ .

٢٣ ـ « الأنوار المحمدية » مختصر « المواهب اللدنية » طبع ببيروت عام ١٣١٠ هـ ، ٦٣٢ صفحة .

٢٤ ـ « البرهان المسدد في إثبات نبوّة سيّدنا محمد ﷺ » مطبوع .

٢٥ ـ « البشائر الإيمانية في المبشرات المنامية » مطبوع .

٢٦ ـ « التحذير من اتخاذ الصور والتصوير » مطبوع .

٢٧ ـ « ترجيح دين الإسلام » مطبوع . راجع رقم ٣٧ .

٢٨ ـ « تنبيه الأفكار إلى حكمة إقبال الدنيا على الكفار » مطبوع .

٢٩ ـ « تهذيب النفوس في ترتيب الدروس » وهو مختصر « رياض الصالحين » طبع بمصر عام ١٣٢٩ هـ ، ٢٣٠ صفحة .

٣٠ ـ « جامع الثناء على الله » مطبوع .

٣١ ـ « جامع الصلوات » طبع ببيروت عام ١٣١٨ هـ ، ٣٨٢ صفحة .

٣٢ ـ « جامع كرامات الأولياء » جزءان ، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر عام ١٣٢٩ هـ .

٣٣ ـ « جواهر البحار في فضائل النبي المختـار » ٤ أجزاء ، طبع ببيروت عام ١٣٢٧ هـ .

٣٤ ـ « حجـة الله على العـالمين في معجزات سيـد المرسلين ﷺ » طبـع ببيروت عام ١٣١٦ هـ .

٣٥ ـ « حـزب الأوليـاء الأربعين المستغيثين بسيّـد المرسلين » وهـو « حزب الاستغاثات بسيّد السادات » مطبوع .

٣٦ ـ « حسن الشرعـة في مشروعيـة صـلاة الظهر إذا تعـدّدت الجمعـة » مطبوع .

٣٧ ـ « خلاصـة الكلام في ترجيح دين الإسـلام » مطبـوع . راجـع رقم ٢٧

٣٨ ـ « الخلاصة الوفية في رجال المجموعة النبهانية » مطبوع .

٣٩ ـ « الدلالات الواضحات شرح دلائل الخيرات » مطبوع .

٤٠ ـ « دليل التجار إلى أخلاق الأخيار » مطبوع .

٤١ ـ « الرحمة المهداة في فضل الصلاة » مطبوع .

٤٢ ـ « رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله » رسالـة ضمن « شواهـد الحق » مطبوعة .

٤٣ ـ « رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة » مطبوع .

٤٤ ـ « السابقات الجياد في مدح سيد العباد ﷺ » مطبوع .

٤٥ ـ « سبيل النجاة في الحبّ في الله والبغض في الله » مطبوع .

٤٦ ـ « سعادة الأنام باتباع دين الإسلام » مطبوع .

٤٧ ـ « سعـادة الـدارين في الصـلاة على سيّـد الكونين ﷺ » طبـع

ببيروت عام ١٣١٨ هـ ، ٧٢٠ صفحة .

٤٨ ـ « سعادة المعاد في موازنة بانت سعاد » مطبوع .

٤٩ ـ « السهام الصائبة لأصحاب الدعاوى الكاذبة » مطبوع ضمن « شواهد الحق » .

٥٠ ـ « الشرف المؤبّد لآل محمد ﷺ » مطبوع ببيروت عام ١٣٠٩ هـ .

٥١ ـ « شواهد الحق في الاستغاثة بسيّد الخلق ﷺ » طبع بالمطبعة الميمنية بمصر عام ١٣٢٣ هـ ، ٢٦٤ صفحة .

٥٢ ـ « صلوات الأخيار على النبي المختار ﷺ » .

٥٣ ـ « الصلوات الأربعين للأولياء الأربعين » .

٥٤ ـ « الصلوات الألفية في الكمالات المحمدية » .

٥٥ ـ « صلوات الثناء على سيد الأنبياء ﷺ » طبع ببيروت عام ١٣١٧ هـ .

٥٦ ـ « طيبة الغرّاء في مدح سيد الأنبياء ﷺ » وعليها حاشية فسّرت ألفاظها اللغوية ، مع ذكر بعض الفوائد الضرورية . طبعت ببيروت عام ١٣١٤ هـ .

٥٧ ـ « العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية » مطبوع .

٥٨ ـ « الفتح الكبير في ضمّ الزيادة إلى الجامع الصغير » مطبوع .

٥٩ ـ « الفضائل المحمدية » مطبوع .

٦٠ ـ « قرة العين من البيضاوي والجلالين » تفسير ، مطبوع .

٦١ ـ « القصيدة الرائية الصغرى في ذمّ البدعة وأهلها ومدح السنة الغرّا » قال : وخصّت بالذم من مبتدعة العصر : جمال الدين

الأفغاني ومحمد عبده المصري ورشيد رضا صاحب جريدة المنار. طبعت في تونس وغيرها.

٦٢ - « القصيدة الرائية الكبرى في وصف الملّة الإسلامية والملل الأخرى » مطبوع.

٦٣ - « القول الحق في مدح سيّد الخلق ﷺ » مطبوع.

٦٤ - « المبشرات المنامية ».

٦٥ - « مثال النعل الشريف » مطبوع.

٦٦ - « المجموعة النبهانية في المدائح النبوية » وعليها حاشية فسّرت ألفاظها اللغوية. مطبوع، ببيروت، عام ١٣٢٠ هـ.

٦٧ - « مختصر إرشاد الحيارى » مطبوع.

٦٨ - « المزدوجة الغرّا في الاستغاثة بأسماء الله الحسنى ».

٦٩ - « مفرج الكروب ومفرح القلوب » وهو كتاب يشتمل على الدعوات النبوية وغيرها الواردة في تفريج الكروب. مطبوع.

٧٠ - « منتخب الصحيحين » يشتمل على نحو ٣٠٠٠ حديث. مطبوع.

٧١ - « نجوم المهتدين ورجوم المعتدين في إثبات نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والردّ على أعدائه إخوان الشياطين » مطبوع بمصر.

٧٢ - « النظم البديع في مولد الشفيع » طبع ببيروت عام ١٣١٢ هـ.

٧٣ - « هادي المريد إلى طرق الأسانيد » طبع ببيروت عام ١٣١٧ هـ.

٧٤ - « الورد الشافي » مختصر « الحصن الحصين » مطبوع.

٧٥ - « وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ » طبع ببيروت عام ١٣٠٩ هـ.

☆ ☆ ☆ ☆

هذا الكتاب :

كما هي عادة النبهاني في تأليف كتبه ، درج على الجمع وحسن العرض في موضوع يرى حاجة مجتمعه إليهِ ، فلم يجد غضاضة في النقل والجمع ، فبحث في ما بين يديه من كتب عن موضوع الحبّ والبغض في الله ، فنسّق ورتّب ، وأحسن العرض .

ففي الفصل الأول آعتمد المؤلف تفسير الرازي والخازن والنسفي والخطيب الشربيني والصاوي في حاشيته على « تفسير الجلالين » و« الكشاف » للزمخشري ، وكلام محيي الدين ابن عربي في كتابه « الفتوحات المكيّة » وجمع بين أقوال المفسرين بتناسق وتأليف بديع .

ثم ذَكَرَ في الفصل الثاني أربعين حديثاً نبوياً ، أغلبها من الصحاح ، معتَمِداً الكثير من كتب السنّة ،

والتي أُرَجِّحُ أنه اعتمدها من خلال كتاب « الترغيب والترهيب » و « رياض الصالحين » و «الجامع الصغير » ، وبعض كتب الحديث الأخرى التي كانت مطبوعة في عصر المؤلف .

ثم ختم الفصل بنَقْلٍ عن « تنبيه المُغْتَرين » للشعراني .

وفي الفصل الثالث نقَلَ ما ورَدَ عند الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » وفي شرحه « إتحاف السادة المتقين » .

وكذلك اعتَمَدَ كتُبَ الشعراني ، مثل : « تنبيه المُغْتَرِين » و « البحر المورود » و « لواقح الأنوار القدسية » و «المنن الكبرى » ، وكذلك شرح النابلسي « للطريقة المحمدية »، وشرح النووي « لصحيح مسلم » .

واعتمد أيضاً بعض الكتب بالواسطة ، مثل : « حسن التنبيه في التشبيه » للنجم الغزّي ، وكتاب « المحتضرين » لابن أبي الدنيا .

ثم في الفصل الرابع ذكر ما وَرَدَ في « وصايا

محيي الدين ابن عربي » من وصايا تتعلّق بالحب والمحبة ، وكلّها وصايا بعيدة عن الشطح والمُغَالاة .

وأخيراً ختم كتابه في الفصل الخامس بنَقْلِ ما وَرَدَ عند الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » من شَرْحٍ لمعنى الحبّ في الله والبغض في الله ، وبيان مراتب الذين يُبْغَضون في الله وكيفية معاملتهم .

مِمّا سَبَق ، نَجِدُ أنَّ النبهاني اعْتَمَدَ ما بين يدَيْه من كتبٍ مطبوعةٍ ، وكان له فضل التنسيق والتهذيب وحسن العرض وجودة التأليف ، بل إنه ٱلتقط من كل كتاب درره ولآلِئه، فصاغها بأحسن سبك وأفضل صياغة. ويشعر القارىء للكتابِ تَوَاضُعَ النبهاني وحبَّهُ وورعَه وتقاه وهي تتخلل في ثنايا كل عبارة وجملة .

وبعد ، فلعل من أهم ما يَشْعُرُ به القارِىءُ فضل النبهاني في تنبّهه لموضوع جليل عظيم له أكبر الأثر في ترابط المجتمع وسلامة بنيانه، وما زال هذا الموضوع : الحبّ في الله والبغض في الله ، من أشدّ حاجات مجتمعاتنا المعاصرة .

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لما يحب ويرضى ويعصمنا ممّا يكره ويبغض ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق في ٢٨/٣/١٩٩١
بسّام عبدالوهّاب الجابي

سبيل النجاة
في
الحب في الله
والبغض في الله

تأليف

يوسف بن إسماعيل النبهاني

بعناية

بسّام عبد الوهّاب الجابي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي جعلَ الُحبَّ في الله والبُغْضَ في الله من أوثق عُرَى الإيمان ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد رسول الله حبيب الرحمن ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد ؛

فهذا كتابٌ نَبَّهْتُ به الغافلين مثلي من المسلمين على وصفٍ عظيمٍ من أوصاف المؤمنين الكاملين ، وهو الحبُّ في الله والبُغْض في الله ؛ وسَمَّيْتُه : « سبيل النجاة في الُحبّ في الله والبغض في الله » أي : حُبّ من أَحَبَّهُ الله من المؤمنين والصالحين والُمتَّصِفين بما يقتضي المحبة من أسباب الدين ، وبُغْض من أبْغَضَه الله من الكافرين والمبتدعين والفاسقين والُمتَّصفين بما يقتَضي البُغْضَ من

أوصاف المخالفين ؛ وكلاهما درجاتٌ بحسب مايَتَّصِفُ به مَنْ تحبُّه أو تُبغضُهُ من الأوصاف والحالات ، ولا فَرْقَ في ذلك بين الأحياء والأموات ؛ فإنّا نُحِبُّ بحُبِّ الله سَيِّدَنا محمداً ﷺ أكثر من سائر المخلوقات ، ونُحِبُّ كلَّ مَنْ وَرَدَ الثناءُ عليهم في الكتاب والسنّةِ وكلام الأئمة الثقات ، من الأنبياء والأولياء والصالحين والصالحات ؛ ونُبْغِضُ ببُغْضِ الله جميعَ مَنْ وَرَدَ ذَمُّهُم عن الله ورسوله وأئمة الأمّة من الكفار والفُسّاق وأهل البدع والضلالات .

وقد يُحَبُّ الإنسانُ من وَجهٍ ويُبْغَضُ من وجهٍ إذا اتَّصَفَ بما يَقْتَضي ذلك من الحسنات والسيئات ، كإن كان مؤمناً فاسقاً فنحِبُّه للإيمان ونُبغضه للفسق ولكلِّ امرىءٍ مانوى فإنّما الأعمال بالنيّات .

وأسألُ الله الكريم ، رَبَّ العَرْش العظيم ؛ أنْ يَنْفَعَ به النفعَ التام العميمَ ، بجاه نبيِّه الرؤوف الرحيم ، عليه أفضل الصلاة والتسليم .

ورتَّبْتُهُ على فصول :

الفصل الأول
في
بعض ماورد في ذلك من الآيات القرآنية وتفسيرها

قال الله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ ﴾ [٣ سورة آل عمران / الآية : ٢٨] .

قال الفخر الرّازي في تفسير سورة آل عمران بعد هذه الآية [١٢/٨] : واْعلم أَنَّهُ تعالى أنْزَلَ آيات أُخَر كثيرةً في هذا المعنى ، منها :

قوله تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ﴾ [٣ سورة آل عمران / الآية : ١١٨] .

وقولـه تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [٥٨ سورة المجادلة / الآية : ٢٢] .

وقولـه تعـالى : ﴿ لَا تَتَّخِـذُوا اليَهُـودَ والنَّصَـارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ [٥ سورة المائدة / الآية : ٥١] .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [٦٠ سورة الممتحنة / الآية : ١] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [٩ سورة التوبة / الآية : ٧١] .

قال رحمـه الله بعدمـا ذكر : واْعلَمْ أنَّ كونَ اْلمُؤْمِنِ موالياً للكافِرِ يحتمل ثلاثة أوْجُهٍ :

أحـدُهـا : أنْ يكونَ راضياً بكُفْرِه ويتولّاه لأجْلِهِ ، وهذا ممنوعٌ منه ، لأنَّ كلَّ مَنْ فعل ذلك كان مُصَوِّباً له في ذلك الدين ، وتصويبُ الكُفْرِ كفرٌ ، والرضى بالكُفر كُفْرٌ ، فيستحيل أن يَبْقى مُؤْمِناً مع كونِهِ بهذه الصفة .

وثانيها : المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسَبِ الظاهر ، وذلك غيْرُ ممنوع مِنْه .

والقسم الثالث : وهو كالمتوسِّط بين القسمَيْنْ الأوَّلَيْنْ ، هو أنَّ موالاةَ الكُفّار ، بمعنى الرُّكون إليهم والمعونة والمظاهرة والنُّصْرة ، إما بسبب القَرَابَة ، أو بسبب المَحبَّةِ مع اعتقاد أن دينَهُ باطلٌ ؛ فهذا لايوجب الكُفْرَ ، إلاّ أنَّه منهيٌّ عنه ، لأنَّ الموالاةَ بهذا المعنى قد تجُرُّهُ إلى استحسان طريقَتِه والرِّضا بدينهِ ، وذلك يُخْرِجُه عن الإسلام ، فلا جَرَمَ هَدَّدَ الله تعالى فيه ، فقال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ ﴾ [٣ سورة آل عمران / الآية : ٢٨] . انتهى كلام الفخر الرازي .

وقال الشيخ علاء الدين الخازِن [١/ ٣٣٦] : ومعنى الآية أنَّ الله نهى المُؤمنين عن موالاة الكُفَّار ومُداهَنَتهم ومباطنتهم ، إلاّ أنْ يكونَ الكفّارُ غالبين ظاهرين ، أو يكون المؤمنُ في قَوْمٍ كفّار ، فيداهِنُهُم بلسانِه وقَلْبهُ مطمئنٌّ بالإيمان ، دفعاً عن نَفْسِهِ من غير أن يستحلّ

دماً حراماً أو مالاً حراماً ، أو غير ذلك من المُحرَّمات ، أو يُظْهِرَ الكفّارَ على عَوْرَةِ المسلمين . اهـ .

وقال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [٥٨ سورة المجادلة / الآية : ٢٢] .

قال الخازن [٧/ ٥٤] : أَخْبَرَ الله تعالى أنَّ إيمان الْمُؤْمِنِين يَفْسُدُ بموادَّةِ الكافِرين ، وإنْ كان مُؤْمِناً لا يوالي من كَفَرَ ، لأنَّ مَنْ أحبَّ أحداً امتنع أنْ يُحِبَّ عَدُوَّه .

فإن قلتَ : قد ٱجْتَمَعَتِ الأمّةُ على أنّه تجوزُ مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم ، فما هذه المودَّة المحظورة ؟

قلتُ : المودّةُ المحظورَةُ هي مناصحتهم وإرادة الخير لهم ، دنيا وديناً مع كفرهم ، فأمّا ماسِوى ذَلِكَ فلا حَظْرَ فيه .

وبَالَغَ تعالى في الزَّجْر عن مَودَّتِهم ، بقوله : ﴿ وَلَوْ كَانُـوا آبَـاءَهُمْ أَوْ إِخْـوَانَهُمْ أَوْ عَشِـيرَتَهُمْ ﴾ [٥٨ سورة المجادلة / الآية : ٢٢] . يعني : إنَّ المَيْلَ إلى هؤلاء من أعْظَمِ أنواع الميل ، ومع هذا فيجب أن يَطْرَحَ المَيْلَ إلى هؤلاء والمَوَدَّة لهم بسبب مخالفة الدين . انتهى كلام الخازن .

وقـال أبـو الـبركـات النسفي في تفسـير هذه الآية [١٦٩/٥] : أي : مِنَ المُمْتَنع أنْ تجدَ قوماً مؤمنين يوالون المشركين . والمراد : إنَّه لاينبغي أنْ يكونَ ذلك ، وحقُّه أنْ يَمْتنعَ ولا يوجَدَ بحالٍ ، مبالغة في التوصية بالتصلّب في مجانبـة أعـداء الله ومبـاعـدتهم والاحـتراز عن مخالـطتهم ومعـاشرتهم ، وزادَ ذلـك تأكيداً وتشـديداً بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ . . . ﴾ الآية .

ثم قال : قال سَهْـل ـ يعـني ابـن عبـد الله التستري ـ : من صَحَّحَ إيمانَهُ ، وأخْلَصَ توحيدَه ؛ فإنَّهُ لايأنَسُ بِمُبْتَـدع ، ولا يجالسـه ، ويظهر له من نفسـه

العداوة ، ومَنْ داهَنَ مُبْتَدِعاً سلبه الله حلاوة السنن ، ومَنْ أجابَ مُبْتَدِعاً لطلَبِ عزِّ الدنيا أو غِناها ، أذَلَّهُ الله بذلك العزِّ ، وأفقرَه بذلك الغِنى ، ومَنْ ضَحِكَ إلى مُبْتَدع نَزَعَ الله نورَ الإيمان من قَلْبِهِ ، ومَنْ لم يصدِّق فلْيُجَرِّب . اهـ .

وقال الخطيبُ عند تفسير هذه الآية [٢٣٦/٤] : قال القُرْطُبيُّ : استدلّ مالك [بن أنس] بهذه الآية على معاداة القَدَرِيَّة وتَرْكِ مُجالَسَتِهِم . اهـ .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء . . . ﴾ [٦٠ سورة الممتحنة / الآية : ١] الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [٦٠ سورة الممتحنة / الآية ٨] .

القِسْطُ : العدل .

قال سيدي العارف بالله الشيخ أحمد الصاوي في « حاشية الجلالين » [١٩٧/٤] : نزلَتْ هذه الآية

لتخصيص الحُكْم النازل أوّل السورة ، لأنَّ الأولى عامةٌ في سائر الكُفَّار مطلقاً ، ولو كانوا مصالحين ، ثمَّ بيَّنَ هُنا أنَّ مَنْ كان من الكفَّار بينهم وبين المسلمين صُلْحٌ ومهادَنةٌ تجوزُ موادَّتهم ، ولم يكن النهيُ شاملاً لهم ، وعلى هذا تكون الآية مُحْكَمة ، فيجوز الآن للمسلمين موادّة الكفّار الذين تحت الذمَّة والصُّلْح . اهـ .

وذكر صاحب « الكشاف » وغيُره من المفسِّرين في سبب نزول هذه الآية أقوالاً ، منها :

أنَّ قَيْلَة بنت عبد العُزَّى ، والدةُ أسماء بنت أبي بَكر ، قَدِمَتْ عليها من مكّة إلى المدينة وهي مُشْرِكَة بهدايا ، فلم تَقْبَلْها ، ولم تَأذَنْ لها بالدخول ؛ فَنَزلَتْ ، فأمرها رسول الله ﷺ أن تُدْخِلَها وتَقْبَلَ منها وتُكْرِمَها وتُحْسِنَ إليها .

وقال العارف الصَّاوِي [في « حاشية الجلالين » ١٩٥/٤] : رُوِي أنَّ سارة ـ وهي : من موالي قُرَيْش ـ قدمَتِ المدينةَ ، فقال لها رسول الله ﷺ : « أَمُهَاجِرَةٌ جئْتِ

ياسارة ؟ » فقالت : لا ! فقال : « أَمُسْلِمَةٌ جِئْتِ ؟ » قالت : لا ! قال : « فَمَا جَاءَ بِكِ ؟ » قالت : كُنْتُمْ الأهل والموالي ، والأَصْلَ والعَشِيَرة ، وقد ذَهَبَ بَعْضُ الموالي - يعني : قُتِلوا يوم بدر - وقد احتجت حاجةً شديدةً ، فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني ؛ فقال عليه السلام : « فَأَيْنَ أنْتِ من شَبَابِ أهْلِ مَكّة ؟ » وكانت مُغَنِّيَة ، قالت : ماطُلِبَ مني شيءٌ بعد وقعة بدر ؛ فحثَّ رسول الله ﷺ بني عبد المطلب على إعطائها ، فكَسوها ، وحملوها وأعطوها ، فخرجت إلى مكّة . اهـ .

وقال سيِّدي محيي الدين ابن العَرَبي في « الفتوحات المكِّية » : نَزَل ضيفٌ من غير مِلَّة إبراهيم بإبراهيم عليه السلام ، فقال له إبراهيمُ عليه السلام : وَحِّدِ الله حتى أُكْرِمَك وأُضَيِّفَك . فقال : يا إبراهيم ! من أَجْلِ لُقْمَةٍ أتركُ ديني ودين آبائي ؟ فانصرفَ عنه ، فأوحى الله إليه : يا إبراهيم ! صَدَقَكَ ، لي سبعون سنة أرْزُقُه وهو يُشْرِكُ بي ، فتريد أنت منه أن يَتْرُكَ دينه ودينَ آبائه لأجْل لقمةٍ !

فلَحِقَهُ إبراهيمُ عليه السلام ، وسألَهُ الرجوع إليه ليُقْرِيه ، واعتذرَ إليه ؛ فقال له المُشْرِكُ : يا إبراهيم ! ما بدا لك ؟ فقال : إنَّ ربِّي عاتَبَني فيكَ ، وقال لي : أنا أرْزُقُهُ منذ سبعين سنة على كُفْرِه بي ، وأنت تريد منه أن يَتْرُكَ دينَه ودينَ آبائه لأجل لقمة ؟! فقال له المُشْرِكُ : أَوَقَدْ وَقَعَ هذا ؟ مثل هذا ينبغي أن يُعْبَدَ ؛ فأسْلَمَ ، ورجع مع إبراهيم عليه السلام إلى منزله ، ثم عَمَّتْ كرامَتُه خَلْقَ الله تعالى من كلِّ واردٍ وَرَدَ عليه ، فقيل له في ذلك ، فقال : تعلَّمْتُ الكَرَمَ من رَبِّي ، ورأيتهُ لا يضيِّعُ أعداءَهُ فلا أُضَيِّعُهُمْ ؛ فأوحى الله إليه : أنْتَ خليلي حقاً .

قال عليه الصلاة والسلام : « المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ » .

عَنِ المَرْءِ لاتَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنِ يَقْتَدِي
إذَا كُنْتَ في قَوْمٍ فَصَاحِبْ خيارَهُمْ
وَلا تَصْحَبْ الأرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

ثم قال رضي الله عنه : قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [٦٠ سورة الممتحنة / الآية : ١] .

وقد قُلْنا : بأنَّ الخليلَ على دين خليلِهِ ، وهؤلاء الموصوفون بأنَّهم أعداء الله ، مع كون الله يُحْسِنُ إليهم ، فذلك لِجَهْلِهِم به وحَجْبِ الأسباب دونهم في أَعْيُنِهم ، فلايَعْلَمُون إلّا ماشاهَدُوه ، فَمَنْ أرادَ تحصيل هذا المقام ، وأن يكون خليلاً للرحمن ؛ فليحمل معنى الآية في قوله تعالى : ﴿ لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [٦٠ سورة الممتحنة / الآية : ١] ويخصّها بجهل الأعداء به أنّ الإحسان منه تعالى ، فهو مُحْسِنٌ إليهم مع عداوتهم ، ولم يجعلْ في قلوبهم الشعورَ بذلك ، فَيَنْبَغي للإنسان الطالب مقام الخِلّة أن يحسن عامةً لجميع خَلْقِ الله ، كافرِهم ومؤمنهم ، وعاصيهم وطائعهم ، وأن يقومَ في العالَم مع قُوَّتِهِ مقام الحق فيهم ، من شمول الرحمة ، وعموم لطائفه من حيث لايشعرهم أن ذلك الإحسان منه ،

ويوصل الإحسان إليهم من حيث لايشعرون ، فَمَنْ عامل الخلقَ بهذه الطريقة نجا ، وهي طريقةٌ سَهْلَةٌ ، فإني دَخَلْتُها وذُقْتُها فما رأيت أسهل منها ولا ألطف ولا فوق لَذَّتِها لَذَّة .

فإنْ كان العبد بهذه المثابة صحّت له الخلّة ، وإذا لم يستطع بالظاهر لعَدَم الموجود أمدَّهم بالباطن ، فدعا الله لهم في نفسِهِ بينه وبين ربِّه ، هكذا تكون حالة الخليل ، فهو رحمةٌ كلُّه ، ولولا الرحمة الإلهية لما كان الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ [٨ سورة الأنفال / الآية : ٦١] ولما كانَ الله يقول : ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ [٩ سورة التوبة / الآية : ٢٩] أَليسَ هذا كله إبقاءٌ عليهم ؟! . . . إلى آخر ماقال في هذا المعنى رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته ، آمين .

وسيأتي في كلام الإمام الغزالي أنه تَجْتَمِعُ أسبابُ المحبَّةِ وأسبابُ البُغْضِ في شخصٍ واحدٍ ، فنحبُّه لله من حيث كونِه مؤمناً مثلاً ، ونُبْغِضُه من حيث كونه فاسقاً ، وليس في كلام سيِّدي محيي الدين السابق مافيه مناقضة ،

فإنَّهُ لم يَقُلْ : إنَّكَ تحبُّ الكافرَ من حيث إنَّهُ كافر ، وإنَّما قال : إنَّـه يطلَبُ شمـولُ الرَّحمة والإحسان إلى الكافرين تخلّقاً بأخلاق الله تعالى في حَقِّهم في هذه الدنيا ، وحُكْم الكُفْرِ على حاله مِنْ بُغْض جميع الكُفَّارِ ، وقد غَضِبَ الله عليهم لِكُفْرِهم .

ويظهـر أثـرُه بعـد المـوت وعلى سبيل الـدوام والاستمرار ، إلى أن يستقرُّوا في النار بِئْس القرار .

وقـال تعـالى : ﴿ يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُوا لاَتَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ القُبُورِ ﴾ [٦٠ سورة الممتحنة / الآية : ١٣] .

قال الخـازن [٧/٨٣] : يعني : كما يَئِسَ الَّذين ماتُوا على الكُفْر وصاروا في القبـور مـن أن يكون لهم ثواب الآخرة ، وذلك أنَّ الكفَّار إذا دخلوا قُبورَهُم أيسوا من رحمة الله تعالى . انتهى .

الفصل الثاني
في
بعض ماورد من الأحاديث القدسية والنبوية

قد جمعتُ في ذلك أربعين حديثاً أكثرها صِحاح وحسان ، وها أنا أذكرها فأقول :

الحديث الأوّل : رَوَى البُخارِي [رقم : ١٦] ومسلم [رقم : ٤٣] عن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لايُحِبُّهُ إلَّا لله ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ » .

وفي رواية لهما عن أنس أيضاً : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمانِ وَطَعْمَهُ : أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ في الله وَيُبْغِضَ في الله ، وَأَنْ تُوقَدَ نَارٌ عَظِيمَةٌ فَيَقَعَ فيهَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُشْرِكَ بالله شَيْئاً » .

٢ - وروى البخاري [رقم : ٦٦٠] ومسلم [رقم : ١٠٣١] عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لاظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ : إمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسَاجِدِ ، وَرَجُلانِ تَحابَّا في الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأةٌ ذَاتُ حُسْنٍ وَجَمالٍ ، فَقَالَ : إنّي أخَافُ الله ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاتَعْلَمَ شِمَالُهُ مَاتُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » .

٣ - وروى البخاري ومسلم عن ابن مَسْعودٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ مِنَ الإيمَانِ أنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ رَجُلاً لايُحِبُّهُ إلاَّ لله ، مِنْ غَيْرِ مَالٍ أعْطَاهُ ، فَذَلِكَ الإيمَانُ » (١) .

(١) لم أجده عند البخاري ولا عند مسلم ، وهو عند الطبراني في « الأوسط » كما ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/٢٧٤ ، قال: ورجاله ثقات . [ب.ج] .

٤ ـ وروى البخاري [رقم : ٧٣٧٥] ومسلم [رقم : ٨١٣] عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، قالت : إنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ رَجُلاً على سَرِيَّةٍ ، فكانَ يَقْرأُ لأصْحَابِهِ في صَلاتِهِمْ ، فَيَخْتِمُ بِـ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ : « سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟ » فَسَأَلُوهُ ، فَقَالَ : لِأَنَّها صِفَةُ الرَّحْمٰنِ ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا ؛ فقال رَسُولُ الله ﷺ : « أَخْبِرُوهُ أَنَّ الله تَعَالَىٰ يُحِبُّهُ » .

٥ ـ وروى البخاري [رقم : ٧١٥٣] ومسلم [رقم : ٢٦٣٩] عن أنس رضي الله عنه ، قال : إنَّ أَعْرَابِيَّاً قالَ لِرَسُولِ الله ﷺ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَقَالَ له رسولُ الله ﷺ : « مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ » قَالَ : حُبُّ الله وَرَسُولِهِ ؛ قَالَ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » . وهذا لفظ مسلم .

وفي رِوايةٍ لهما : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَوْمٍ ولاَ صَلاةٍ وَلاَ صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ .

قالَ أَنَس : فَما رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بِشَيْءٍ بَعْدَ الإِسلامِ فَرَحهمْ بِها .

وفي رواية لهما : قال أنس : فَما فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنا بِقَوْلِ النبيِّ ﷺ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » فَأَنا أُحِبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بَكْرٍ وعُمَرَ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُم .

٦ - وروى البخاري [رقم : ٦١٦٨] ومسلم [رقم : ٢٦٤٠] عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ : يارَسُولَ الله ! كَيْفَ تَقُولُ في رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

٧ - وروى البخاري [رقم : ١٣] ومسلم [رقم : ٤٥] عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أَنَّه قال : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَايُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .

٨ - وروى البخاري [رقم : ١٥] عن أنسٍ وأبي

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهما ، قالا : قال رسول الله ﷺ : « لايُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » .

٩ ـ وروى مسلم [رقم : ٢٥٦٧] عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قالَ : قال رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ رَجُلاً زارَ أَخاً لَهُ في قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ الله تعالى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ ، قال : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخاً لي في هَذِهِ القَرْيَةِ ؛ قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّها عَلَيْهِ ؟ قال : لا ! غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في الله تَعالى ؛ قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكَ بِأَنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَما أَحْبَبْتَهُ فِيهِ » .

ومَعْنى « أَرْصَدَهُ لِكَذا » : إذا وَكَّلَهُ بِحِفْظِهِ ، و « المَدْرَجَة » : الطريق ، ومعنى « تربها » : تَقُومُ بها وتَسعى في صلاحِهَا .

١٠ ـ وروى مسلم [رقم : ٢٦٣٨] عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ في الجاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في

الإِسلامِ إِذا فَقِهُوا ، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تعَارَفَ مِنْهَا آئتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكرَ مِنْهَا آخْتَلَفَ » . .

وروى البخاري [رقم : ٣٣٣٦] : « الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . . . » إلى آخره عن عائشة رضي الله عنها .

١١ - وروى مسلم [رقم : ٥٤] عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لاتَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا ، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُم » .

هكذا هو بحذف النون من « لا تدخلوا » و « لاتؤمنوا » .

١٢ - وروى مسلم [رقم : ٢٥٦٦] عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ يومَ القِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالِي ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يَوْمَ لاظِلَّ إلَّا ظِلِّي » .

١٣ - وروى الإمام مالك في « الْمُوَطَّأ » [٢/٩٥٣] بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي إدْرِيس الخَوْلاني رحمه الله ، قال : دخلتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ ، فَإِذا فَتَىً بَرَّاقُ الثَّنَايَا ، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ ، فَإِذَا آخْتَلَفُوا في شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضي الله عَنْهُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ هَجَّرْتُ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَني بالتَّهْجير ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي ، فَآنْتَظَرْتُهُ حَتَّىٰ قَضَى صَلاتَهُ ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَالله إِنِّي لَأُحِبُّكَ ؛ فَقَالَ : آلله ؟ فَقُلْتُ : أَلله ، فَقَالَ : آلله ؟ فَقُلْتُ : أَلله ؛ فَأَخَذَني بِحَبْوَةِ رِدَائي ، فَجَذَبَني إِلَيْهِ ، فَقَال : أَبْشِرْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقولُ : « قَالَ الله تعالى : وَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ » .

ومعنى : « هَجَّرْتُ » : بَكَّرْتُ ، وهو بتشديد الجيم . وقوله : « آلله » بهمزة ممدودة للاستفهام ، والثاني بلامدّ . و « حَبْوَةُ الرِّدَاء » : محلُّ الاحتباءِ مِنْهُ .

ورواه الإمام أحمد [٤/٣٨٦] والحاكم وصحّحه ، عن عَمْـرو بن عَبَسَـة رضي الله عنـه ، بلفظ : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله تعالى يقُولُ : حَقَّتْ مَحَبَّتي لِلَّذِينَ يَتَـزَاوَرُونَ مِنْ أَجْـلي ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتي لِلَّذِينَ يَتَحَـابُّونَ مِنْ أَجْـلي ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتي لَلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلي ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي » .

ورواه الطبراني وابن حبان والضياء المقدسي ، عن عُبَـادَة بن الـصَّامِـت رضي الله عنـه بلفظ : قال رسـول الله ﷺ : « قَالَ الله تَبَـارَكَ وَتَعَالَى : حَقَّتْ مَحَبَّتي لِلْمُتَحَـابِّينَ فيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتي لِلْمُتَواصِلِينَ فيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتي لِلْمُتَبَـاذِلِـينَ فيَّ ؛ الْمُتَحَابُّونَ فيَّ عَلى مَنَابِرَ مِنْ نُور ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ » .

وروى الـترمـذي [رقـم : ٢٣٩١] وقال : حسن صحـيح ؛ عن مُعـاذ رضي الله عنـه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ : الْمُتَحَابُّونَ في جَلالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءُ » .

١٤ ـ وروى الإمام أحمد [١٤٦/٥] وأبو داود [رقم : ٤٥٩٩] والطبراني [لم أجده] عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أَفْضَلُ الأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي الله وَالبُغْضُ في الله » .

١٥ ـ وروى الإمام أحمد [٢٤٧/٥] عن مُعاذ بن أنس رَضِيَ الله عنه ، أنَّه سألَ رسولَ الله ﷺ عن أفْضَلِ الإيمان ؟ فقال : « أَنْ تُحِبَّ لله ، وَتُبْغِضَ لله ، وتُعْمِلَ لِسانَكَ في ذِكْرِ الله » قال : وَمَاذا يارسول الله ؟ فقال : « وَأَنْ تُحِبَّ لِلْناسِ مَاتُحِبُّ لِنفسِكَ ، وَتَكْرَهَ لَهُمْ ماتَكْرَهُ لِنَفْسِكَ » .

١٦ ـ وروى الإمام أحمد [٤٣٠/٣] والطبراني [« مجمع الزوائد » ٨٩/١] عن عَمْرو بن الجَمُوح رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لَايَحِقُّ (١) العَبْدُ [حَقَّ] صَرِيحِ الإيمَانِ حَتَّى يُبْغِضَ لله ، وَيُحِبَّ لله ، فَإِذَا أَحَبَّ لله وَأَبْغَضَ لله ، اَسْتَحَقَّ الوِلايَةَ لله » .

---

(١) في الأصل : « يجد » بدلاً من « يحقّ » . [ب . ج] .

١٧ - وروى الإمام أحمد [٦/ ١٤٥] بإسناد جيّد، عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاَثَةٌ أَحْلِفُ عَلَيْهِنَّ: لايَجْعَلُ اللهُ مَنْ لَهُ سَهْمٌ في الإسلام كَمَنْ لا سَهْمَ لَهُ، وَأَسْهُمُ الإسلامِ ثَلاثَةٌ: الصَّلاَةُ، وَالصَّوْمُ، وَالزَّكَاةُ؛ وَلاَ يَتَوَلَّى اللهُ عَبْداً في الدُّنْيا فَيُوَلِّيهِ غَيْرَهُ يَوْمَ القِيامَةِ؛ وَلاَ يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْماً إلاَّ جَعَلَهُ اللهُ مَعَهُمْ».

١٨ - وروى الإمام أحمد [٥/ ٢٥٩]، عن أبي أُمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَحَبَّ عَبْدٌ عَبْداً لله إلاَّ أكْرَمَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

١٩ - وروى الإمام أحمد [٥/ ١٤٦]، وأبو داود، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: خَرَجَ علينا رسول الله ﷺ فَقَال: «أَتَدْرُونَ أيُّ الأعْمالِ أَحَبُّ إلىٰ الله تعالىٰ؟» قال قائل: الصَّلاةُ والزَّكاة؛ وقال قائل: الجهاد؛ فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ أَحَبَّ الأعْمالِ إلىٰ الله تَعالىٰ الْحُبُّ في الله وَالْبُغْضُ في الله».

٢٠ - وروى أبـو داود [رقم : ٤٨٣٣] والترمذي [رقم : ٢٣٧٩] بإسناد صحيحٍ ، عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنـه قال : قال رسـول الله ﷺ : « الـرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ » .

٢١ - وروى أبـو داود [رقم : ٤٨٣٢] والترمذي [رقم : ٢٣٩٧] عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاَتُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِناً ، وَلاَ يأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ » .

وروى أبو داود [رقم : ٥١٢٥] بإسنادٍ صحيحٍ ، عن أنس رضي الله عنـه ، قال : إنَّ رَجُـلاً كَانَ عِنْـدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَمَـرَّ رَجُـلٌ بِهِ ، فقَـالَ : يَارَسُـولَ الله ! إنِّي لأحِبُّ هَذا ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَأَعْلَمْتَهُ ؟ » قال : لا ! قال : « أَعْلِمْـهُ » فَلَحِقَـهُ ، فَقَالَ : إنِّي أُحِبُّكَ في الله ؛ فَقَالَ : أَحَبَّكَ الله الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ .

ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » [« كنز العمال » ٩/١١] عنه بزيادةِ : ثُمَّ رَجَعَ ، فَسَأَلَه النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَخْبَرَهُ

بِمَا قَالَ ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « أَنْتَ مَعْ مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكَ مَا ٱحْتَسَبْتَ » .

وفي رواية الترمذي [رقم : ٢٣٨٦] : « اَلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَلَهُ مَا ٱكْتَسَبَ » .

٢٣ - وروى الطَبَرَاني [« مجمع الزوائد » ١٠/٧٧] بإسنادٍ حَسَنٍ ، عن أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « لَيَبْعَثَنَّ الله أَقْواماً يوم الْقِيامَةِ في وُجُوهِهِمُ النورُ ، عَلَىٰ مَنابِرِ اللُّؤلُؤ ، يَغْبطُهُمُ النَّاسُ ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ ولا شُهَدَاءَ » قال : فجثا أَعْرَابِيٌّ عَلى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : يارسولَ الله ! جَلِّهِمْ لَنا نَعْرِفهُمْ . قال : « هُمُ اَلْمتَحَابُّونَ في الله مِنْ قَبائِلَ شَتَّى ، وَبِلادٍ شَتَّى ، يَجْتَمِعُونَ عَلى ذِكْرِ الله يَذْكُرُونَهُ » .

ورواه أبو داود [رقم : ٣٥٢٧] عن عُمَرَ رضي الله عنه بلفظ : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ مِنْ عِبادِ الله نَاساً مَاهُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَـدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ والشُّهَدَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ الله » قالوا : يارسولَ الله ! تُخْبِرنَا مَنْ

هُمْ ؟ قال : « هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ الله عَلى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَالله إنَّ وُجُوهَهُمْ لَعَلَى نُورٍ ، لايَخَافُونَ إذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلايَحْزَنُونَ إذَا حَزِنَ النَّاسُ » وقَرَأ هذه الآية : ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لاَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [١٠ سورة يونس / الآية : ٦٢] .

٢٤ ـ وروى أبو داود [بل الحاكم ، ٢٩١/٢] عن عائِشَةَ أمّ المؤمنين رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « الشِّرْكُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَىٰ الصَّفَا في اللَّيْلَةِ الْمظْلِمَةِ ، وَأَدْنَاهُ أَنْ تُحِبَّ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الْجَوْرِ ، وَتُبْغِضَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ العَدْلِ ، وَهَلِ الدِّينُ إلاَّ الْحُبُّ في الله ، وَالْبُغْضُ في الله ؟ » قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله ﴾ [٣ سورة آل عمران / الآية : ٣١] .

٢٥ ـ وروى أبو داود [رقم : ٤٦٨١] عن أبي أُمَامَة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ لله

وَأَبْغَضَ لله ، وَأَعْطَىٰ لله ، وَمَنَعَ لله ، فَقَدِ ٱسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ » .

٢٦ ـ وروى ابن حِبَّان وأبو الشَّيْخ [« كنز العمال » ١٠/١٥٢] عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المُؤمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِهِمْ نَصَحَةٌ وَادُّونَ ، وَإِنْ بَعُدَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ ؛ وَالفَجَرَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ غَشَشَةٌ مُتَخَاوِنُونَ ، وَإِنْ قَرُبَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ » .

٢٧ ـ وروى الترمذي [رقم : ٢٠٠٨] وابن ماجه [رقم : ١٤٤٣] عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَادَ مَرِيضاً ، أَوْ زَارَ أخاً في الله ، نَاداهُ مُنادٍ مِنَ السَّماءِ : طبت وطَابَ ممشاك ، وتبوأت من الجَنَّة منزلاً » .

٢٨ ـ وروى الحاكم [١/٣] من طريقين وصَحَّحَ أحدَهما ، عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إلَّا لله » .

٢٩ ـ وروى الطبراني والضياء المَقْدِسيّ ، عن أبي قِرْصَافَة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ قَوْماً حَشَرَهُ الله في زُمْرَتِهِمْ » .

٣٠ ـ وروى البزّار [« مجمع الزوائد » ١٠/٢٧٩] بإسنادٍ حَسنٍ عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ رَجُلاً لله ، فَقَالَ : إنِّي أُحِبُّكَ لله ، فَدَخَلا جَمِيعاً الْجَنَّةَ ، فَكَانَ الَّذِي أَحَبَّ أَرْفَعَ مَنْزِلَةً مِنَ الآخَرِ ، أُلحق بالَّذِي أَحَبَّ لله » .

٣١ ـ وروى ابن حبان [رقم : ٥٦٦] والحاكم [٤/١٧١] عن أَنَس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَاتَحَابَّ اثْنَانِ في الله إلَّا كَانَ أَحَبُّهُمَا إلى الله أَشَدُّهُما حُبَّاً لِصَاحِبِهِ » .

قال العراقي في « تخريج أحاديث الإحياء » : وهو صَحِيحُ الإسناد .

٣٢ ـ وروى الطبراني في « الأوسط » [« مجمع

الزوائد » ١٠/ ٢٧٨] عن بُرَيْدَة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ في الجَنَّةِ غُرَفاً تُرى ظَوَاهِرُهَا مِنْ بَوَاطِنِهَا وَبَواطِنُهَا مِنْ ظَوَاهِرِها ، أعَدَّهَا الله لِلْمُتَحَابِّينَ فِيهِ ، والْمُتَزَاوِرِينَ فِيهِ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيهِ » .

٣٣ - وروى الطبراني [« مجمع الزوائد » ١٠/ ٢٧٧] عن أبي أيُّوب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الْمُتَحَابُّونَ في الله عَلَىٰ كَرَاسِي مِنْ يَاقُوتٍ حَوْلَ العَرْشِ » .

٣٤ - وروى البَيْهَقيُّ في « شعب الإيمان » [« كنز العمال » رقم : ٣٣٢٩] ، عن أبي رزين رَضِي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلّك على ملاكِ هذا الأمر الّذي تُصيبُ بهِ خَيْرَيْ الدُنيا والآخِرة ؟ عليك بِمَجالِسِ أهلِ الذِّكْرِ ، وإذا خَلَوْتَ فحرِّكْ لِسانَكَ مَا استَطَعْتَ بِذِكْرِ الله ، وأحبّ في الله ، وأبْغِضْ في الله ، ياأبا رزين هلْ شَعَرتَ أنَّ الرَّجل إذَا خَرَجَ من بيتِهِ زائراً أخَاهُ شَيَّعَهُ سَبْعُونَ ألف مَلَكْ ، كلّهم يُصلّونَ عليه ، ويقولون :

رَبَّنا إنَّه وَصَلَ فيك فَصِلْهُ ، فإنْ اسْتَطعْتَ أن تُعْمِلَ جَسَدَكَ في ذَلِكَ فافْعَلْ » .

٣٥ - وروى البَيْهَقي في « شُعَب الإيمان » [« كنز العمال » رقم : ٢٦٥١] ، عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ في الجَنَّةِ لَعُمُداً مِنْ يَاقُوتٍ عَلَيْهَا غُرَفٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ ، لَهَا أَبْوابٌ مُفَتَّحَةٌ ، تُضِيءُ كَمَا يُضِيءُ الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ » فَقَالُوا : يَارَسولَ الله ! مَنْ يَسْكُنُهَا ؟ قال : « الْمُتَحَابُّونَ في الله ، والْمُتَجَالِسُونَ في الله ، والْمُتَلاقُونَ في الله » .

٣٦ - وروى الإمام أحمد والبَيْهَقي [« مجمع الزوائد » ١ / ٨٩] ، عن البَراءِ بن عازِبٍ رَضِيَ الله عنه ، قال : كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ ، فقال : « أيُّ عُرَى الإيمانِ أَوْثَقُ ؟ » قالوا : الصَّلاةُ ، قال : « حَسَنَةٌ ، وَمَاهِيَ بها » قالوا : صِيامُ رَمَضانَ ، قال : « حَسَنٌ وماهو به » قالوا : الجهادُ ، قال : « حَسَنٌ ، وَمَاهُوَ بِهِ » قال : « إنَّ أوْثَقَ عُرَى الإيمانِ أنْ تُحِبَّ في الله وَتُبْغِضَ في الله » .

ورواه الطبراني عن البَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنه مختصراً ، بلفظ : قال رسول الله ﷺ : « مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الإيمان أنْ تُحِبَّ في الله وَتُبْغِضَ في الله » .

٣٧ ـ وروى البَيْهَقي في « شُعَبِ الإيمان » [« كنز العمال » رقم : ١٣٩٥] ، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لأبي ذرٍّ : « ياأبا ذر أيُّ عُرى الإيمان أوثق ؟ » قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « الموالاة في الله ، والحبُّ في الله » .

٣٨ ـ وروى البَيْهَقي [« كنز العمال » رقم : ٢٤٦٤٦] عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ أنَّ عَبْدَيْنِ تَحَابَّا في الله ، وَاحِدٌ في الشَّرْقِ وَآخَرُ في الغَرْب ، لَجَمَعَ الله بَيْنَهُمَا يَوْمَ القِيَامَةِ ؛ يَقُولُ : هَذا الَّذِي كُنْتَ تُحِبُّهُ فِيَّ » .

٣٩ ـ وروى البُخَارِيُّ [رقم : ٦٥٠٢] عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله قَالَ : مَنْ عَادَىٰ لي وَلِيَّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ » .

ومعنى « آذَنْتُهُ بالحَرْبِ » : أَعْلَمْتُهُ بأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ .

٤٠ ـ روى التّرْمذيُّ [رقم : ٣٤١٩] والحاكِم ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما دعاءً طويلاً كان يَدْعُو به النَّبيُّ ﷺ ، من جملته : « اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، غَيْرَ ضالِّينَ وَلاَ مُضِلِّينَ ، صُلْحاً لأَوْلِيَائِكَ ، وحَرْباً لأَعْدَائِكَ ، نُحِبُّ مَنْ أَحَبَّكَ ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ » وَهَذا ونحوه تعليمٌ منه ﷺ لأُمَّتِهِ ، وإلاّ فهو مُتَّصِفٌ بذلك بيَقِين .

وهذا ختام الأربعين ، والحمد لله ربِّ العالمين .

وَمِمَّا وردَ في ذلك عن بعض الأنبياء صلوات الله على نبيّنا وعليهم ، مارواه الإمام أحمد عن عَمَّار بن ياسِر رضي الله عنه ، أنَّ أصحابَهُ كانوا ينتظرونَهُ ، فلما خَرَجَ ، قالوا : ما أَبْطَأَكَ عَنَّا أيها الأمير؟ قال : أَمَا إنِّي سوف أُحَدِّثُكُم ؛ إنَّ أَخاً لَكُمْ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ ، وَهُوَ مُوسى عليه السَّلام ، قالَ : يارَبِّ ! حَدِّثني بأَحَبِّ النَّاسِ إلَيْكَ ؛ قَالَ : وَلِمَ ؟

قالَ : لأُحِبَّهُ لِحُبِّكَ إيَّاه ، قال : عَبْدٌ لي في أقْصى الأَرْضِ - أوْ : طَرَف الأَرْض - سَمِعَ به عَبْدٌ آخَرُ في أقْصَى - أوْ : طَرَف - الأَرْض ، لايَعْرِفُهُ ، فَإنْ أصابَتْهُ مصيبةٌ فَكَأنَّما أصَابَتْهُ ، وَإنْ شَاكَتْهُ شَوْكَةٌ فَكَأنَّما شَاكَتْهُ ، لايُحِبُّهُ إلّا لي ، فَذلِكَ أحَبّ خَلْقِي إلَيَّ ؛ قال : يارَبِّ ! خَلَقْتَ خَلْقاً تُدْخِلُهُمُ النَّارَ أوْ تُعَذِّبُهُمْ ؛ فأَوْحَىٰ الله إلَيْهِ : كُلُّهُمْ خَلْقِي ؛ ثُمَّ قال : ٱزْرَعْ زَرْعاً ؛ فَزَرَعَهُ ؛ ثُمَّ ٱسْقِهِ ؛ فَسَقَاهُ ؛ ثُمَّ قال : قُمْ عَلَيْهِ ؛ فَقَامَ عَلَيْهِ أوْ مَاشَاءَ الله مِنْ ذَلِكَ ؛ فَحَصَدَهُ وَرَفَعَهُ ، فَقَالَ : مَافَعَلَ زَرْعُكَ يَامُوسَى ؟ قالَ : فَرَغْتُ مِنْهُ ورَفَعْتُهُ ؛ قَالَ : مَاتَركْتَ مِنْهُ شَيئاً ؟ قالَ : مَا لاخَيْرَ فِيهِ - أوْ مَا لاَحَاجَةَ فِيهِ - قال : فَكَذلِكَ أنا لا أُعَذِّبُ إلَّا مَنْ لاخَيْرَ فِيهِ .

وقال سَيِّدي عبد الوهاب الشعراني في « تنبيه المُغْتَرِّين » : قد أوْحَى الله تعالى إلى مُوسى عليه الصلاة والسلام : هَلْ عَمِلْتَ لي عَمَلاً ؟ فقال : لي ؟ نَعَمْ يارَبِّ ! صَلَّيْتُ وَصُمْتُ وتَصَدَّقْتُ ؛ وذَكَرَ أشياء ؛ فقال الله

تعالى : هذا لَكَ ، ولَكِنْ هَلْ وَالَيْتَ لأجْلي وَلِياً أو عَادَيْتَ لأجْلي عَدُوّاً ؟ فَعَلِمَ عند ذلك مُوسى أنَّ الحُبَّ في الله والبُغْضَ في الله مِنْ أفْضَلِ الأعمال .

الفصل الثالث
في
بعض ماورد في ذلك عن بعض الصحابة والسلف الصالح ومَن بَعْدَهم من العارفين رضي الله عنهم أجمعين

قال الإمام الغَزالي في « إحياء علوم الدين » : قال عمر رضي الله عنه : إذا أصابَ أحدُكُم وُدّاً من أخيه فليتمسَّكْ بِه ، فقلَّما يُصيبُ ذلك .

وقال شارِحُهُ الزَّبيدي : ويُرْوَى من كلام عمر أيضاً : ما أُعْطِي عَبْدٌ بعد الإسلام خَيْراً مِنْ أخٍ صالح .

وقال في « الإحياء » أيضاً : قال علي رضي الله عنه : عَلَيْكُم بالإخوان ، فإنَّهُمْ عِدَّةٌ في الدنيا والآخرة ، ألا تسمعون إلى قَوْل أهل النار : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا

صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء / الآيتان : ١٠٠ و١٠١] .

وقال عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما : والله لَوْ صُمْتُ النهارَ ولا أُفْطِر ، وقُمْتُ اللَّيلَ لا أنامه ، وأنفقْتُ مالي في سبيل الله أموت يوم أموت ، وليس في قلبي حُبٌّ لأهْلِ طاعة الله ، وبُغْضٌ لأهْلِ معصية الله ؛ مانَفَعَني ذلك شيئاً .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لَوْ أنَّ رَجُلاً قام بين الرُّكْنِ والَمقام يَعْبُدُ الله سبعين سنةً لَبَعَثَهُ يوم القيامة مع من يُحبُّ .

وقال ابن السماك عند موته : اللَّهُمَّ ! إنَّكَ تَعْلَمُ أنِّي إذا كُنْتُ أعْصيكَ كنتُ أُحِبُّ من يطيعك ، فَاجْعَلْ ذلك قُرْبَةً لي إليك .

وقال الفُضَيْل في بعض كلامه : تُريدُ أنْ تَسْكُنَ الفِرْدَوْسَ وتجاورَ الرَّحْمن في دارِهِ مع النَّبيِّنَ والصدِّيقين والشُّهداء والصالحين ! بأيِّ عَمَلٍ عَمِلْته ؟ بأيِّ شهوة

تَرَكْتَها ؟ بأيِّ غَيْظ كَظَمْتَهُ ؟ بأيّ رَحِم قاطع وَصَلْتَها ؟ بأيّ زَلّة لأخِيكَ غَفَرْتَها ؟ بأيّ قريبٍ باعَدْتَه في الله ؟ بأيّ بعيدٍ قارَبْتَهُ في الله ؟ .

وقال رَجُلٌ لمحمّد بن واسع : إنِّي لأحِبُّك في الله ، فقال : أحبَّك الَّذي أحْبَبْتَني له ؛ ثمَّ حَوَّل وَجْهَهُ ، وقال : اللَّهمَّ ! إنِّي أعوذُ بك أنْ أُحَبَّ فيك وأنْتَ لي مُبْغِضٌ .

ودخل رَجُلٌ على داود الطائي ، فقال له : ما حاجَتُك ؟ فقال : زيارَتُكَ ؛ فقال : أمَّا أنْتَ فقد عَمِلْتَ خَيْراً حين زُرْتَ ، ولكن ٱنْظُرْ ماذا ينزِلُ بي أنا إذا قيل : مَنْ أنْتَ فَتُزارَ ؟ أمِنَ الزُّهَّادِ أنت ؟ لا والله ! أمِنَ العُبَّادِ أنت ؟ لا والله ! أمِنَ الصَّالحين أنت ؟ لا والله ! ثم أقْبَلَ يُوَبِّخُ نفسَهُ ، ويقول : كُنْتُ في الشَّبيبَةِ فاسقاً ، فلما شخْتُ صِرْتُ مرائياً ، والله لَلْمُرَائي شرٌّ مِنَ الفاسِق .

وقال مُجاهِد : ٱلْمُتَحابُّون في الله إذا ٱلْتَقُوا فَكَشَرَ [1]

---

(١) يقال : « كَشَرَ عن أسنانه » أي : أبداها ، والمقصود : تبسَّم بعضهم لبعض . [ب . ج] .

بعضهم إلى بعض ، تَتَحاتُّ عنهم الخطايا كما يتحاتُّ وَرَقُ الشّجر في الشتاء إذا يَبِسَ .

وقال الإمام الغَزَالي في « الإِحياء » بعد قوله ﷺ « أَوْثَقُ عُرَىٰ الإِيمانِ الُحبُّ في الله والبُغْضُ في الله » [رواه الإِمام أحمد « المسند » ٤/٢٨٦] : فلهذا يَجِبُ أنْ يكونَ للرَّجُل أعداءٌ يبْغِضُهُم في الله ، كما يكون له أصدقاءٌ وإخوانٌ يحبُّهم في الله تعالى .

وقال سَيِّدي عبد الوهاب الشَّعْرَاني في كتابه « تنبيه المغترِّين » الَّذي بيّن فيه جملةً صالحةً من أخلاق السَّلَفِ الصالح : وَمِنْ أخلاقِهم رَضِيَ الله عنهم غيرتُهم لله تعالى إذا أنْتُهكَتْ حُرُماتُهُ نصْرَةً للشريعة المطهَّرَة ، فكانوا لايفعلون فِعْلاً ولا يصحَبُونَ أخاً إلاَّ إنْ عَلِمُوا رِضا الله تعالى فيه ، فلايُحِبُّونَ أحداً ولا يُبْغضونَهُ لِعِلَّةٍ دنيوية .

وقد ثَبَتَ في الحديث : « الحبُّ في الله والبغضُ في الله مِنْ أوْثق عُرَى الإِيمان » ، فلو عَبَدَ الشخصُ رَبَّه كعبادةِ

الثَّقَلَيْنِ طَلَباً للثواب ، وهو غافِلٌ عن كَوْنِ ذلك من مرضاة الله تعالى ؛ فهو خارج عن الطريق .

وكان علي بن الحُسَيْن رضي الله عنهما يقول : لايصطحبُ اثنان على غَيْر طاعةِ الله إلَّا تَفَرَّقُوا على غَيْرِ طاعةِ الله .

وقد كان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول : إذا دَخَلْتُم على الظَّالمين فلاتخصُّوهم بالدُّعاء ، فإنَّهم حارَبوا الله ورسولَه ، ولكن آدْعُوا للمسلمين ، فإنْ كانوا مِنْهم لحقتْهُم الدعوةُ .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : إذا صحبْتَ أحداً لاتَسْأَلْ عن مَودَّتِهِ لك ، ولكن آنْظُر مافي قلبِكَ ونَفْسِكَ ، فإنَّ ماعِنْدَكَ مثل الَّذي عِنْدَهُ على حَدٍّ سواء .

وكان سُفْيان الثَّوْرِي رحمه الله تعالى يقول : إذا أحْدَثَ الرّجُلُ حَدَثاً ولم يُبْغِضْهُ من زَعَمَ أنَّهُ أخوه فمَحَبَّتُهُ لِغَيْرِ الله ، إذ لو كانت لله لَغَضِبَ على مَنْ عصاه .

وكان أبو هُرَيْرَة رضي الله عنه يقول : يُؤْتَى بالعَبْدِ يومَ القِيامة بين يدي الله تعالى ، فيقولُ الله عزَّ وجلَّ له : هل أحْبَبْتَ لي وَلياً حتى أهِبَكَ لَهُ ؟ اهـ .

فأحِبُّوا الصَّالحين وٱتَّخِذُوا عندهم أيادي ، فإنَّ لَهُمْ دولة يوم القيامة .

وكـان الحسن البَصْري رحمه الله تعـالى يقـول : مُصارَمَةُ الفاسِقِ قُربةٌ إلى الله تعالى .

قال الإمام الشَّعْراني بعد ما ذُكر ؛ قلتُ : ومرادُهُ مصـارَمَتُـه بالقَلْبِ ، أمَّـا في الظاهر ، فلاينبغي مصارَمَتُه لأجْـلِ تقـويم عِوَجِـهِ وتبغيضِهِ في صفات الفِسْقِ ، فإنَّ الفاسقَ ضالَّةُ كلِّ داعٍ إلى الله تعالى فافهم ذلك ، والله أعلم .

وقد سُئِلَ سُفيان الثَّوْريّ رحمه الله تعالى : هل يُعَزَّى الفاسِقُ إذا مات له ميّت ؟ قال : لا .

وكـان الحسن البَصْري رحمه الله تعالى يقول : مَنِ

آدَّعىٰ أنَّـهُ يُحِبُّ عبـداً لله تعالى ولم يُبْغِضْهُ إذا عَصَى الله تعالى ، فقد كَذَبَ في دعواه أنَّهُ يُحِبُّهُ لله .

وكـان محمّد بن الحنفيَّة رضي الله عنه يقول : مَنْ أحبَّ رَجُلاً من أهل النار لخيرٍ ظَهَرَ منه آجره الله على ذلك ، ومَنْ أبْغَضَ رجلاً من أهل الجنّة لِشرٍّ ظَهر منه آجره الله على ذلك .

وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لايطرُدُ الكَلْبَ إذا جَلَسَ بحذائِهِ ، ويقول : هو خَيْرٌ مِنْ قرينِ السُّوء ، وكَفَى بالَمرْءِ شرّاً أن لايكون صالحاً ، ويقع في الصالحين .

وكـان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول : لَيْسَ شيْءٌ أنْفَـعَ لقلب العَبْـد من مخالطةِ الصالحين والنظر إلى أفعالهم ، وليس شيْءٌ أضرَّ على القلب من مخالطة الفاسقين والنظرِ إلى أفعالهم .

وكان يحيى بن مُعاذ رحمه الله تعالى يقول : وَليُّ الله رَيْحانٌ في الأرضِ ، فإذا شَمَّهُ المريدون وَصَلَتْ رائِحَتُه إلى قلوبهم ، فاشتاقوا إلى ربّهم . اهـ .

فتأمَّل يا أخي حالَكَ : هل أحْبَبْتَ أحداً لله أوْ أبغضته لله تعالى ؟ أم أحْبَبْتَ بالهوَى وأبغضت بالهوى ؟ فآبْكِ على نفسِكَ ، وأكْثِرْ من الاستغفار ليلاً ونهاراً ، والحمد لله رب العالمين. انتهى ماقاله في « تنبيه المغتّرين » .

وقال رضي الله عنه في « البحر المورود » : أُخِذَ عَلَيْنا العهد أنْ نُبْغِضَ العصاةَ لله لا بحكم الطبع ، كما نحبّ أهلَ الطاعة لله لا بحكم الطبع ؛ قال ﷺ : « الُحبُّ في الله والبُغْض في الله ، منْ أوْثَقِ عُرَى الإيمان » [رواه الإمام أحمد « المسند » ٤ / ٢٨٦] .

والمرادُ بالبُغْض بُغْضُ الصفات لا الذَّوات ، لأنَّ الصِفات هي التي يُكْرَهُ العبدُ لأجْلها أو يُحَبُّ ، ومحكُّ الصدق في ذلك أنْ تَكْرَهَ ذلك العبد العاصي وهو مُحْسِنٌ إليك ، وتَجِدَ في قَلْبِكَ له محبة لأجل إحسانِهِ ، إيثاراً لجانب الله عَزَّ وَجَلَّ ؛ فتأمَّلْ ! فإنَّها ميزان تطيش على الذرّ[1] ؛

(١) « الذرّ » : أصغر النمل، والمقصود : إن الشعور بالحبّ أو البغض لله دقيق جداً ، يحرّك ميزانه أقل شيء ، كالذرة مثلاً . [ب . ج] .

وأمَّا عند عَدَم إحسانِه إِلَيْكَ فقد تكرهه لحظّ نفسه . انتهى ماقاله .

وقال رضي الله عنه في « لواقح الأنوار القدسية » ، وهي العهود الكبرى : وأُخِذَ علينا العهدُ التام العام من رسول الله ﷺ ، أنْ لانَقْبَلَ من أحدٍ من الأشرار هدية ، كالظَّلَمَةِ وأهل البدع ، فضلاً عن الكفّار ؛ لأنَّ المَرْءَ مع مَنْ أحبَّ ، ولانُحِبّ أن نُحْشَرَ مع ظالم أو مبتدع ولا كافر ، فإنَّ مَنْ قَبِلَ هدية هؤلاء مال بِقَلْبِه إليهم ضرورةً ، إلَّا أنْ تحفُّهُ العنايةُ بالسلوك على يد شيخ ناصِح يسلكُ به في حضرات التوحيد حتى يصير يشهد المُلْكَ لله عزّ وجلّ وحدِهِ ، ويتحقَّقُ بذلك ذوقاً أنَّهُ إذا تنزل لِنِسَبِ الشرائع - بكسر النون - أضاف الأمور إلى الخَلْق من غَيْر وقوف معهم ، وما لم يسلكِ العبدُ على يدِ شيخٍ ،لايشهد المُلْكَ ببادىء الرَّأْي إلَّا للْخَلْق ؛ ولا المِنَّة في ذلك إلَّا لهم دون الله تعالى ، ولايكادُ يَشْهَدُ المِنَّةَ لله تعالى إلَّا بعد تأمُّلٍ وتفَكُّرٍ ، على أنَّ التحقيق في ذلك أنَّه لاينبغي لمسلم أن يقبل هديةً

من أحد من الأشرار إلَّا لِعُذْرٍ شرْعي مُطْلَقاً ، ولو كان ذلك القابِل من أكابر الأولياء ؛ لأنَّ الجُزْءَ الَّذي يشهد المُلْكَ للخَلْق ويرى المِنَّة لهم ببادىء الرَّأي يدقُّ مع السالك في المراتب ولايزول بالكُلِّيَّة ، وهذا أمرٌ لايذوقه كلُّ سالِكٍ ، إنَّما هو لأفرادٍ منهم ، هذا حُكْمُ جميع الأمَّة ، وما خَرَجَ عن ذلك سوى الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام بِعِصْمَتِهِم ؛ والله غفور رحيم .

وقال رضي الله عنه في « البحر المورود » : أُخِذَ عَلَيْنا العهودُ أنْ لانأكُلَ من هدايا الكُفَّار والظَّلَمَةِ وسائر الفَسَقَة ، إلَّا لمصلحةٍ ترجحُ ، لقولِهِ ﷺ لما أَهْدَى له حَكِيمُ بن حِزَام قبل إسلامه هديةً : « نَحْنُ لانَقْبَلُ هَدَايا المُشْرِكِين » وَرَدَّها ﷺ . وأيضاً فإنَّ في الأكلِ من هدايا مَنْ ذُكِرَ تمييل القلب إليهم بالمحبَّة قَهْراً عَلَيْنَا ، كما أشار إليه : « جُبِلَتِ القُلوبُ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْها » وخروجُ القلب عما جُبِلَ عليه عسيرٌ جداً ، فإنْ تَرَتَّبَ على ذلك مصلحةٌ قَبِلْناها كما قَبِلَ النبيُّ ﷺ هدية المُقَوْقِس بجامعِ الكُفْرِ ؛ وإنْ كان مِنْ

أهل الكِتَاب ، والله غفور رحيم .

وقـال رضي الله عنه في « المِنَن الكُبْرى » : ومَّما أنْعَمَ الله تبـارك وتعـالى به عليَّ شِدَّة بُغْضي لأهـل المعاصي ولو أحبُّـوني وأحسنـوا إليَّ واعتقـدوني ، لاسِيَّما أهل المعاصي المستصعبـة التي يعسر صِحَّـة التـوبـة منهـا ، كالمكّاسين وغيرهم من سائر من يظلم الناس في الأموال والأعْراض ؛ وهذا من أكبر نِعَم الله تبارك وتعالى عليَّ ، فأنا بحمد الله تعالى أكْرَهُ جميعَ العُصاة ولو أَحَبُّوني وقَبلُوا شفاعتي ، إيثاراً لجانـب الله تبـارك وتعـالى على حَظِّ نَفْسي ، وقليلٌ من يَتَخَلَّصُ مِنْ مِثْلِ ذلـك ، كما أشار إليه خَبَرُ : « جُبِلَتِ القُلُوبُ عَلى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إلَيْها » فيُريدُ الفقيرُ أنْ يبغض الظالَم المُحْسِنَ إليه ، فلايقدر على ذلك ؛ مع تلاوته لقوله تعـالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَتتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [٥ سورة المائدة / الآية : ٥١] وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَرْكَنُوا إلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [١١ سورة هود / الآية : ١١٣] . اهـ .

وقال العارف بالله سيّدي الشيخ عبد الغني النَّابلسي في « شرح الطريقة المحمّدية » عند قول رسول الله ﷺ : « اَلمْرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » [رواه البخاري ، رقم : ٦١٥٨ ؛ ومسلم ، رقم : ٢٦٤٠] . وفي رواية مسلم [رقم : ٢٦٣٩] ، قال رسول الله ﷺ لِلَّذي سأَلَهُ عن الساعة : « مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ » قالَ : حُبُّ الله وَرَسولِهِ ؛ قال : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » .

قال : وقال النَّوَوِيُّ في شَرْحِهِ : فيه فضلُ حُبِّ الله تعالى ورسولِهِ ﷺ والصَّالحين وأهل الخير الأحياء والأموات ، ومن أَفْضَلِ محبَّة الله تعالى ورسولِهِ امتثالُ واجتنابُ نهيهما والتأدُّبُ بالآداب الشرعية ، ولايُشْتَرَطُ في الانتفاع بمحبَّة الصَّالحين أنْ يَعْمَلَ عملَهُم إذْ لَوْ عَمِلَهُ لكان منهم .

وقد صَرَّحَ في الحديث بذلك ، فقال : « رَجُلٌ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ » قالَ أهلُ العربية : « لَمَّا » تنفي الماضي المستمِر ، فتدلُّ على نفيه في الماضي وفي الحال ،

بخلاف « لم » فإنَّها تدلُّ على الماضي فقط ، ثمَّ إنَّهُ لايلزم من كونه معهم أنْ تكونَ مَنْزِلَتُهُ وجزاؤه مثلَهم من وَجْهٍ .

قال سيّدي عبد الغني [النَّابلسي] : وفي كتاب « حسن التنبيه في التشبيه » للنجم الغَزيِّ : روى الطبراني في معجمه الكبير والحافظ ضياء الدين المَقْدسي في « الأحاديث المختارة » عن أبي قِرْصَافَة [جَنْدَرَة بن خَيْشَنَة] رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ قَوْماً حَشَرَهُ الله في زُمْرَتِهِمْ » .

ورواه أبو نعيم في جزء له ، ولفظه : « مَنْ أَحَبَّ قَوْماً وَوَالاهُمْ حَشَرَهُ الله فِيهِم » .

وروى الإمام أحمد بن حنبل [« المسند » ٦/١٤٥] بإسنادٍ جَيِّد ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، أنَّ رسول الله ﷺ قال في حديث : « وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْماً إلَّا جَعَلَهُ الله مِنْهُمْ » .

وروى أبو داود [رقم : ٥١٢٦] عن أبي ذَرٍّ رضي

الله عنه ، أنَّه قال : يارسولَ الله ! الرَّجُلُ يُحبُّ القَوْمَ وَلاَ يَسْتَطِيعُ أنْ يَعْمَلَ بِعَمَلِهِم ؟ قال : « أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعْ مَنْ أَحْبَبْتَ » فأعادَها رسولُ الله ﷺ .

فهذه الأحاديثُ قاضِيَةٌ بأنَّ المحبَّةَ تُلْحِقُ الْمُقصِّرَ في الأعمال عن درجات المجتهدين لِمَحَبَّتِهِ إياهم بهم ، فما ظَنُّكَ بِمَنْ بَلَغَ من محبَّتِهِ لَهُم أنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ في الأعمال الصَّالحات ، والاجتهاد في تحصيل الكمالات ؟ .

فإنْ قُلتَ : كيفَ يقولُ الحسنُ البَصْرِيُ رضي الله عنه مع هذه الأحاديث : « يَا ٱبْنَ آدَمَ ! لايَغُرَّنَّكَ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ : ٱلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ! فَإِنَّكَ لَنْ تَلْحَقَ الأَبْرَارَ إلَّا بِأَعْمَالِهِمْ ، فإنَّ اليَهُودَ والنَّصَارَى يُحِبُّونَ أنْبِياءَهُمْ وَلَيْسُوا مَعَهُمْ » .

قال حِجَّةُ الإسلام الغَزَالي رحمه الله تعالى في « الإحياء » : وهذه إشارةٌ إلى أنَّ مُجَرَّد ذلك من غَيْرِ موافقة بعض الأعمال أو كلِّها لاينفعُ .

وقال الفُضَيْلُ بنُ عِياض رضي الله عنه في بعض

كلامه : هاهٍ ! تُرِيدُ أنْ تَسْكُنَ الفِرْدَوْسَ وَتُجَاوِرَ الرَّحْمَـنَ في دارِهِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقين والشُّهَداء وَالصَّالحين ؟! بأيِّ عَمَلٍ عَمِلْتَهُ ؟ بأيِّ شَهْوَةٍ تَرَكْتَهَا ؟ بأيِّ غَيْظٍ كَظَمْتَهُ ؟ بأيِّ رَحِمٍ قَاطِعَةٍ وَصَلْتَهَا ؟ بأيِّ زَلَّةٍ لأخِيكَ غَفَرْتَهَا ؟ بأيِّ قَرِيبٍ بَاعَدْتَهُ في الله ؟ بأيِّ بَعِيدٍ قَرَّبْتَهُ في الله ؟ .

فالجواب عن ذلك : إنَّ الُمحِبَّ لِقَوْمٍ لايخلو حالُه إمَّا أنْ يكونَ مُوافِقاً لهم في كلِّ أعمالهم وأخلاقِهم بِحَسَب إمكانه ، أوْ مُخالِفاً لهم في كُلِّها ، أوْ مُوافقاً في البعض ؛ فإنْ كانَ مُوافِقاً لهم في كلِّ أعمالهم وأخلاقِهم فهذا منهم ومعهم بلا شك ، لأنَّ مَحَبَّتَهُ إيَّاهُم أدَّتْ به إلى اتِّصافه بكُلِّ أوصافِهِم ، وتَشَبَّهَ بهم في كلِّ أحوالهم ، فقد بَلَغَ أعلى طبقات الَمحَبَّةِ ؛ فكيفَ لايكون مِنْهُم ؟ وإنْ كانَ مُخالِفاً في كلِّ أفعالِهِم ، مُبايناً لهم في كلِّ أحوالِهِم ، فهذا ليس منهم قطعاً .

وعلى ذلك حَمَلَ الغزالي كلامَ الَحسَن ، وكذلك يُحْمَلُ عليه كلامُ الفُضَيْل ، لأنَّ الظاهرَ أنَّ محبَّته هذا مجرَّد دعوى

ومحض تَمَنٍّ ، وإنْ كان موافِقاً في البَعْضِ مخالِفاً في البَعْض ، فلايخلو إمَّا أنْ يخالفهم في أصلِ الإيمان الذي هو عقيدتهم ، وذلك عينِ العداوة ، فأيْنَ المحبَّة وأيّ عداوةٍ أعْدَى من عداوة الدِّين ؟!.

ومن هذا القبيل مَحَبَّةُ اليَهودِ والنَّصارَى لأنبيائهم ، أي وكمحبة الروافض ـ الَّذين بَلَغوا برفْضِهِم الكفر ـ لأهل البيت ، وإن وَافَقَهُم في أصلِ الإيمان وخالفهم في غيره من الطاعات ومكارم الأخلاق ، فلايخلو إمَّا أنْ تكونَ مخالَفَته لهم في الطاعات والأخلاق والآداب رغبةً عنها وأنَفَة منها ومحبةً لما سواها ، أو لا ؟ فإن كان الأوَّلُ فهذا لاينفعه أيضاً أصل محبَّتِهِ لهم مع رغبته عن أخلاقهم وأوصافهم ولاتُلْحِقُه بهم ، كمحبَّةِ الشيعة ـ الذين لم يبلغوا بتشيُّعِهِم الكُفْرَ ـ لأهل البيت مع معاداتهم لِبَعْضِ أصحاب رسولِ الله ﷺ ؛ وإنْ كان الثاني ، بأنْ كانَتْ مخالَفَتُهُ لهم لا على طريقة الرَّغْبَةِ عن أخلاقهم ، ولا على سبيل الأنَفَةِ منْ أحوالهم ؛ بل كان على سَبيلِ العَجْزِ والتَّقْصير عن بلوغ دَرَجاتِهِم ،

والانحطاط عن علوِّ هِمَمِهم ؛ ولو تيسَّرَ لَهُ اللَّحاقُ بهم في وَصْفٍ لم يتأخر عن الاتصاف به ، أو في خُلُقٍ لم يَتوانَ عن التخلُّقِ به ؛ فهذا التقصير لايُقْعِدُه عن اللَّحاق بمَنْ يحبُّهم ، ولا يُؤخِّرُه عن الكَيْنُونَةِ معهم ؛ وعلى ذَلِكَ تُحْمَلُ الأحاديث والآثار الواردة في ذلك ، ولاشَكَّ أنَّ قَوْلَ النَّبيِّ ﷺ : « اَلمرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » جوابٌ لقَوْلِ القائل : يارسول الله ! اَلمرْءُ يُحِبُّ قَوْماً وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ [رواه البخاري ، رقم : ٦١٦٨ ؛ ومسلم ، رقم : ٢٦٤٠] . وفي حديث أبي ذَرٍّ : وَلايَسْتَطِيعُ أن يعمل بعملهم ! دَليلٌ عَلى أنَّ اُلمحِبَّ لقَوْمٍ معهم ، وإن قَصَّرَ عَنْهُم في الأعمال والأحوال ، ولذلك آشْتَدَّ فَرَحُ المسلمين بذلك ، كما قال أنَسٌ رضي الله عنه : فَما فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النبيِّ ﷺ : « أنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » . قال أنس : فَأنَا أُحِبُّ النبيَّ ﷺ وأبَا بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما ، وأرْجُو أن أكونَ مَعَهُم ! .

ورَوَى ابن أبي الدنيا في كتاب « اُلمحْتَضَرين » عن

عبد الرحمن بن صالح العجْلي ، قال : قال ابن السَّمَّاك عند وَفاته : اللَّهُمَّ ! إنَّكَ تَعْلَمُ أنِّي كُنْتُ إذا عَصَيْتُكَ فَإنِّي أُحِبُّ مَنْ يُطِيعُكَ ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ قُرْبَةً لي إلَيْكَ .

وجَعَل النَّجْمُ الغَزِّي رحمه الله محبَّة الظَّلَمةِ للصالحين من القبيل الأوَّل ، أي : مِنْ قَبِيل مَحَبَّةِ المُوافِقين في أصل الإيمان والمخالفين في غيره من الطاعات ومكارم الأخلاق مع الرَّغْبَةِ عنها والأنَفَةِ منها والمحبةِ لِما سِواها ، حَيْثُ قال : ومن هذا القَبيل محبَّةُ الظَّلَمَة والفَسَقَة للصالحين وتقرُّبهم من المباركين ، بِعَرْضِ أموالِهِم عَلَيْهم وإرسال الهدايا إليهم ، وهم مكبُّون على ظُلْمِهم للنَّاس وإسرافهم على أنفسهم ؛ فهؤلاء لاتَنْفَعُهُم محبَّةُ الصالحين ولا تُلْحِقُهُم بهم . انتهى كلامه .

قال العارف النابلسي بَعْدَهُ : قلتُ : بَلِ الإنْصَافُ أنْ تُجعَلَ محبَّةُ الظَّلَمَةِ والفَسَقَةِ للصَّالحين وتقرُّبِهِم من المباركين من القبيل الثاني ، أي : مِنْ قَبيل محبَّةِ الموافقين في أصل الإيمان والمخالفين لهم في غيره من الطاعات ؛ لكن لا

على طريقة الرَّغْبَة عن أخلاقهم ، ولا على سبيل الأَنَفَةِ من أحـوالهم ؛ ولهـذا تقـرَّبـوا إليهم ، وأحبُّـوهم ، وأحبُّوا طريقَتَهم ، وتبرَّكوا بهم ؛ ولو كان لهم رَغْبَة عن أخلاقهم ، وأنَفَة عن أحوالهم ؛ لبعدوا عنهم ولم يشاكلوهم أصلاً مثل غيرهم من بقية الـظَّلمـة ؛ بل ذلـك على سبيل العَجْـز والتقصير عن بلوغ درجاتهم والانحطاط عن علوِّ هِمَمِهِم ، مع الاعـتراف بأنَّهُم ظالمون لأنفسهم ، مُسْرِفونَ عليها ، واقعـون في الـذنـوب والخطايا والآثام ، يصرِّحُون بذلك بألسنتهم ، ويضمرونه في قلوبهم ، ويطلبون من الصالحين الدعاءَ بتيسير التوبة والتخلّص مِمَّا هم واقعون فيه ، ولو تيسَّر للواحدِ منهم اللَّحاق بهم في وَصْفٍ من الأوصاف لم يتـأخَّـر عن الاتصـاف به ، وإنَّـما عاقَهُم عن ذلـك ميلُ نفـوسِهم مع جواذب الهـوى والطبيعة وكون أمور العامة متعلِّقة بهم منوطة بأنظارهم ، وهم مُبْتَلون بكلِّ ذلك جمعاً وصرفاً ، كما كانت هي حالة ابن السَّمَّاك في حال صدور المعصية منه ، كما أخْبَرَ هو عن نفسه في وقت وفاته بقوله كما

قدمناه : (اللَّهُمَّ ! إنَّك تَعْلَمُ أنِّي كنتُ إذا عصيتُك ، فإني كنت أحبُّ مَنْ يطيعك ، فاجعل ذلك قربةً لي إليك) .

وهؤلاء كذلك في حال عصيانهم لله تعالى واعترافهم بذلك ، يحبّون مَنْ يطيعُ الله تعالى ومن يتوهَّمون أنَّه صالح ، ويتقرَّبون إليه ، ويتأدَّبون معه ، ويطلبون منه الدعاء ، ويهدُون إليه أشرف ماعندهم ـ وهو المال ـ رَغْبَةً في حصول دعائه لهم ، فلعلّ الله تعالى يجعله سبباً لنجاتهم في الآخرة .

وليس هذا الوصف في جميع الظلمة والفَسَقَة ، وإنَّما هذا في طائفة منهم ، يرون قُبْح ماهم فيه من الأحوال ، وحُسْن مافي أهل الخير والهُدى من الصلاح ، وهم مسلمون مؤمنون من أهل الكتاب والسّنّة ، غير أنَّ الله تعالى ابتلاهم بنفوسهم المنهمكة في جمع حطام الدنيا ، وأخذ كل ماقدروا عليه من أموال الناس ، والتبسّط في أنواع الشهوات ؛ فالله تعالى يتوبُ علينا وعليهم ، آمين . انتهى كلام العارف بالله سيّدي الشّيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه .

الفصل الرابع
في
ما انتقيته في معنى الحب في الله ، والبغض في الله ، من وصايا الشيخ الأكبر ، التي ذكرها في آخر « فتوحاته المكّيّة »

واعلم أنَّه كان ينبغي ذكر ذلك مع مَنْ نقلتُ عنهم في الفصل الثالث السابق ، ولكنّي أفردتُ كلامَ سيّدي محيي الدين بهذا الفصل المخصوص لكثرة مانقلته عنه في ذلك ، وللاهتمام بوصاياه لنفاسَتِها وكثرة فوائدها .

قال رضي الله عنه :

وصية : وعليك بمراعاة كلِّ مسلمٍ من حَيْثُ هو مسلم ، وساوِ بينهم كما سَوَّىٰ الإسلام بينهم في أعيانهم ، ولاتقل : هذا ذو سلطان وجاه ومال وكبير ، وهذا صغير

وفقير وحقير ؛ ولاتخفر صغيراً ولا كبيراً في ذمته ، واجعل الإسلام كلَّه كالشخص الواحد ، والمسلمين كالأعضاء لذلك الشخص ، وكذلك هو الأمر ؛ فإنَّ الإسلامَ ما له وجود إلّا بالمسلمين ، كما أنَّ الإنسان ما له وجود إلَّا بأعضائه ، وجميع قواه الظاهرة والباطنة ، وهذا الذي ذكرناه هو الذي راعاه رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه من قوله في ذلك : « الْمُسْلِمُونَ تَتكَافَأُ دِمَاؤهُم ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُم ، وَهُمْ يَدٌ واحِدَةٌ على مَنْ سِوَاهُمْ » .

وقال ﷺ : « الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ واحِدٍ ، إن ٱشْتَكَى عَيْنُهُ ٱشْتَكَى كُلُّهُ ، وإنِ ٱشْتَكَى رَأْسُهُ ٱشْتَكَى كُلُّهُ » .

ومع هذا التمثيل فأنْزل كلَّ واحدٍ مَنْزلَتَه ، كما أنَّك تعامِلُ كلَّ عضوٍ منك بما يَليقُ به وما خُلِقَ له ، فتغضّ بصَرَك على أمر لايعطيه السمع ، وتفتح سَمْعَك لشيء لايعطيه البَصَر ، وتصرف يَدَك في أمر لايكون لرِجلك ، وهكذا جميع قواك ، فتُنْزِلُ لكل عضو منك ماخُلِقَ له .

كذلك وإنِ ٱشترك المسلمون في الإسلام وساويت

بينهم ، فأعطِ العالِمَ حقَّه من التعظيم والإصغاء إلى مايأتي به ؛ وأعطِ الجاهل حقَّه من تذكيرك إيَّاه وتنبيهه على طلب العلم والسعادة ؛ وأعطِ الغافلَ حقَّه بأن توقظه من نوم غَفْلَتِه بالتذكير لما غَفِلَ عنه مما هو عالم به غير مستعمل علمه فيه ، وكذلك الطائع والمخالف ؛ وأعطِ السلطانَ حقَّه من السمع والطاعة فيما هو مباح لك فعله وتركه ، فيجب عليك بأمره ونهيه أن تسمع له وتطيع ، فيعود لأمر السلطان ونهيه ماكان مباحاً قبل ذلك واجباً أو محظوراً بالحكم المشروع من الله في قوله : ﴿ وَأُولي الأمْرِ مِنْكُم ﴾ [٤ سورة النساء / الآية : ٥٤] وأعطِ الصغيرَ حقَّه من الرِّفْق به ، والرَّحْمة له ، والشَّفَقة عليه ؛ وأعطِ الكبير حقَّه من الشرف والتوقير ؛ فإنَّ من السنّة رحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، ومعرفة شرفه ؛ ثَبَتَ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، ويَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا » وفي حديث : « وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا » .

وعليك برحمة الخَلْق أجمع ، ومراعاتهم كانوا

ماكانوا ، فإنَّهم عبيدُ الله وخلقُ الله وإن عَصَوْا وإنْ فَضُلَ بَعْضُهم بعضاً ، فإنَّك إذا فعلت ذلك أُجِرْت ، فإنَّه ﷺ قد ذكر « أنَّه في كلِّ ذات كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ » ألا ترى إلى الحديث الوارد في البَغِيّ : إنَّ بَغِيّاً من بَغَايا بني اسرائيل - وهي : الزانية - مرَّت على كَلْبٍ قد خرج لسانُه من العطش ، وهو على رأس بئر ، فلما نظرتْ إلى حاله نَزَعَت خُفَّها وملأته بالماء من البئر ، وسَقَتِ الكلبَ ، فشكر الله فِعْلَها ، فغفر لها بكلبٍ .

قال سيّدي محيي الدين رضي الله عنه : وأخبرني الحسن الوجيه المُدرِّس بِمَلَطْيَة الفارِسي ، عن والي بُخَارَى ، وكان ظالماً مُسرِفاً على نفسه ، فرأى كلباً أجْرب في يوم شديد البرد ، وهو ينتفض من البرد ، فأمر بَعْضَ شاكِريَّته [أي : بعض أُجرائه أو مستخدميه] ، فاْحْتَمل الكَلْبَ إلى بَيْته ، وجعله في موضع حار ، وأطعمه وسقاه ، فَدَفِىء الكلبُ ، فرأى في النوم أو سَمِعَ هاتفاً - الشكّ مني - يقول له : يافلان ! كُنْتَ كلباً ، فَوَهَبْنَاك لكلبٍ ؛ فما بقي

إلَّا أياماً يسيرة ومات ، فكان له مشهد عظيم لشفقته على كَلْب ، وأين المسلم من الكلب ؟ فافعل الخير ولاتبالِ فيمن تفعله تكن أنت أهلاً له .

ولتأْتِ كلّ صِفَةٍ محمودة من حيث ماهي مكارم الأخلاق ، تتحلّى بها ، وكن مَحلاً لها لشرفها عند الله ، وثناء الحقِّ عليها ، فاطْلُب الفضائلَ لأعيانها ، واجتنب الرذائل لأعيانها ، واْجْعلِ الناسَ تَبَعاً ، لاتقف مع ذَمِّهم ولا حمدهم ، إلّا أنّك تقدّم الأوْلى فالأوْلى إن أردْتَ أن تكون مع الحكماء المتأدبين بآداب الله ، التي شَرَعَها للمؤمنين على ألسنة الرسل عليهم السلام .

واْعلمْ أنَّ المؤمِنَ للمؤمنين كالبنيان المَرْصُوص يشدُّ بعضه بعضاً ، فما في العالَم إلَّا من هو ساجدٌ لله إلَّا بعض الثقلَيْن من الجن والإنس ، فإنَّ منهم كثيراً مِمَّن يسبِّح الله ويسجد لله ، وفيهم من لا يسجدُ لله ، وهو الذي حَقَّ عليه العذاب ، اْنْظُرْ في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، آمِنُوا ﴾ [٤ سورة النساء / الآية : ١٣٦] فسمَّاهم

مؤمنين ، وأمرهم بالإيمان ، فالأوَّل : عمومُ الإيمان ، فإنَّ الله قال في حقِّ قوم : ﴿ والَّذينَ آمَنُوا بِالبَاطل ﴾ والثاني : خصوص الإيمان ، وهو المأمورُ به ؛ والأوَّل إقرارٌ منهم من غير أن يقترن به تكليف ، بل ذلك عن عِلْم ، وأيْسَرُه في بني آدم إيمانهم حين أشهدهم على أنفسهم ، كما قال : ﴿ وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أنفُسِهِمْ ﴾ [٧ سورة الأعراف / الآية : ١٧٢] بالإيمان في دار الميثاق ، فخاطبهم بالمؤمنين حِينَ أيَّهَ (١) بِهِم ، ثمَّ أمرهم بالإيمان في هذه الحالة الأخْرى ، وما تعرَّض للتوحيد المطلق رحمةً بهم ، فإنَّه القائل : ﴿ وَمَا يُؤمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِالله إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [١٢ سورة يوسف / الآية : ١٠٦] الشركَ الخفي ، وقد ذكرناه ، فلذلك قال لهم : ﴿ آمِنُوا بِالله ﴾ [٤ سورة النساء / الآية : ١٣٦] ولم يقل : بتوحيد الله ، فَمن آمَنَ بوجود الله فقد آمن ، ومن آمن بتوحيدِه فما أشْرَكَ ، فالإيمان إثبات ، والتَّوحيد نَفْيُ شَرِيك ، ومن أسماء الله : الْمُؤْمن ، وهو يَشدُّ

(١) أي : قال : ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا ﴾ . [ب . ج].

من المُؤمِن المَخلوق ، قال ﷺ : « يَرْحَمُ الله أخِي لُوط ، لَقَدْ كان يَأْوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ » وهو الاسم المُؤمِن ؛ فالمؤمن يشدُّ من المؤمن ؛ فافهم .

وصية : قال رضي الله عنه : واحْذَر أنْ تكفِّرَ أحداً من أهل القِبلة بذَنْب ، فقد ثَبَتَ أنه مَنْ قال لأخِيه : كافِر ، فقد باء بها أحدُهما ؛ فإن كان كما قال ، وإلَّا رجعت عليه ، ومعنى الرُّجوع عليه ، أنَّه هو الكافر ، فإنَّه من كَفَّر مُسْلِمًا لإسلامه فهو كافر ، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ؛ قَالُوا : أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ [٢ سورة البقرة / الآية : ١٣] فقال الله فيهم : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾ [٢ سورة البقرة / الآية : ١٣] أي : هُمُ الذين ضعفت آراؤهُم ، فحالَ ذلك الضَّعْفُ بينهم وبين الإيمان ﴿ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فَتَحَفَّظ من الكلام القبيح ، وهو أن تنسبَ صفةً مذمومة لأخيك المُؤمِن وإنْ كان فيه ، لا في حضوره ولا في غيبته ، فإنَّك إذا واجهْتَه بذلك فقَدْ عَيَّرْتَه ، فما تَأْمَنْ مِنْ أنْ يعافيه

الله من تلك الصفة ، ويَبْتَلِيك بها ، وقد وَرَد : « لاتُظْهِر الشَّمَاتَة بأخِيكَ ، فيُعافِيه الله ويَبْتَلِيك » وإن كان غائباً ، فهو غِيبَةٌ ، وقد نهاك الله عن الغِيبَة ، فإنَّك إذا ذَكَرْتَه بأمرٍ هو فيه مّما يسوءه لو قابلته به فقد آغْتَبْتَه ، وإن نَسَبْتَ إليه من القبيح ماليس فيه فذلك البهتان ، ولابدَّ أن تجني ثمرة غَرْسِكَ إلاّ أن يَعْفو الله بإرضاء الخَصْم ، فيعود عليك وبال مانَسَبْتَه إلى أخيك المؤمن مما ليس هو عليه ، وكذلك خداع المؤمن ، فلاتكن مِمّن يخادع الله ، فإنَّك إنِ آعْتَقَدْتَ ذلك كنت من الجاهلين بالله ، حيث تخيَّلْتَ أنَّك تلبِّسُ على الحقّ ، وظَنَنْتَ أنَّ الله لايعلم كثيراً مما تَعْملون ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخَاسِرِين ﴾ [٤١ سورة فصلت / الآية : ٢٣] وَإن خادَعْتَ أخَاكَ الْمُؤمِنَ فما تخادعُ إلاّ نَفْسَك ، كما قال تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٢ سورة البقرة / الآية : ٩] في خداعهم الذين آمنوا ؛ ولو كانوا مُؤْمِنين بغير الحقِّ فإنَّهم مؤمنون أيضاً بالباطل ؛ قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بَالله أُولَئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ ﴾ [٢٩ سورة العنكبوت / الآية : ٥٢]
فَوَصَفَهُم بالإيمان بالباطل . وقال في حديث الأنواء فيمَن قال : « مُطِرْنَا بنَوْءِ كذا » إنَّه « كافِرٌ بي مُؤْمِنٌ بالكَوْكَب » فهذا قولُهُم : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُم ﴾ في خِداعِهِم الذين آمنوا ؛ وأمَّا في خداعِهِم الله ، فإنَّ الله هو خادِعُهُم بكونِهِم اعتقدوا أنهم يخادِعُون الله .

وإيَّاك والجهل ! فإنَّه أقبح صفةٍ يتَّصف بها الإنسانُ ، فإنْ كُنْتَ ياوليّ ذا زَوْجة ، فأوْصِها ، بل لاتَتْرُكْها ؛ ولا أختاً ، ولا بنْتاً ، ولا أيّ امرأة كانت مما تحكم عليها ، أو تعلم أنَّها تَسْمَعُ منك ، أو أيّ امرأة تعرَّضَتْ لك ؛ فانْصَحْها ، كانت مَنْ كانت ؛ أن لاتَسْتَعْطِر إذا خَرَجَت بطيبٍ يكون له ريحٌ ، فإنَّه قد ثَبَتَ عن رسول الله ﷺ قال : « أَيُّما امْرَأةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمرَّتْ على قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ » وقد وَرَدَ مُقَيَّداً في ذلك « أيَّما امْرَأةٍ أصابَتْ بُخُوراً فلاتَشْهَدْ مَعَنا العِشَاءَ الآخِرَةَ » وذلك أنَّ الليل آفاتُه كثيرةٌ ، والظُّلْمَةُ ساتِرَةٌ ، وما تَدْري إذا أصابَ الرَّجل ريحها الطَّيِّب في طريق المسجد ماتَلْقَى منه إذا

لم يَتَّقِ الله ، فلذلك نهاها رسولُ الله ﷺ عن شُهُودِ العِشاءِ الآخرة ، وبالجملة فلاينبغي أن تَخْرُجَ بِطِيبٍ له رائحةٌ ، لا في ليلٍ ولا في نهار .

وإيَّاك والاستهزاء والَمسْخَرَة بأهل الله ، فإنَّ الاستهزاء بأهْلِ الله استهزاءٌ بدين الله ، ولا تَتَّخِذْهُم ضُحْكَةً ، فإنَّ وَبَالَ ذلك يعود عليك يوم القيامة ، فيسْخَرُ الله منك ويستهزِئ بك ، وهو أن يُريك بالفِعْل جزاءَ مافَعَلْتَهُ أنتَ هنا ـ أعني : في الدنيا ـ بالمؤمن إذا لقيتَهُ تقول : أنا معك ؛ على طريق الهُزْءِ به والسُّخْرية منه ، فإذا كان يوم القيامة يجازيك الله عَدْلاً بقدر ماترائَيْتَ به للمؤمنين : من الإقبال عَلَيْهم ، والإيمان بما هُمْ عليه أهل الله عزَّ وجلَّ ، وقد رأيْنا على ذلك جماعةً من المدرِّسين الفقهاء يَسْخَرُون بأهل الله ، المنتمين إلى الله ، المخبرين عن الله بقلوبهم مايرد عليهم من الله فيها ، فيأمر بِمَنْ هذه صفته إلى الجنة ، حتى ينظرَ إلى مافيها من الخير ، فَيُسَرُّونَ كما يُسَرُّ أهلِ الله في حال استهزائهم بهم ، ويتَخَيَّلون أنَّهم

صادقــون فيما يظهــرون به إلــيهــم ، فإذا وَفّىٰ الله جزاء عملهم، وظهرت لهم الجنةُ بخَيْرها، أمرَ الله بهم أن يُصْرَفُوا عنهــا إلى النــار ، فذلك استهزاءُ الله بهم ، كما أنَّ هؤلاء المنــافقــين لمَّا رَجَعــوا إلى أهليهم قالــوا : ﴿ إنَّـما نَحْنُ مُسْتَهـزءونَ ﴾ [٢ سورة البقـرة / الآية : ١٤] وقــال : ﴿ سخـروا منه ﴾ [١١ سورة هود / الآيـة : ٣٨] ؛ ﴿ فَــالْيَـوْمَ الَّــذِينَ آمَنُـوا مِنَ الْكُفَّــارِ يَضْحَكُــونَ ﴾ [٨٣ سورة المـطففين / الآية : ٣٤] كما كانوا في الدنيا يضحكـون من المؤمنين بإيمانهم . وكذلك بعضُ المؤمنين يضْحَكون من أهل الله في الدُّنيا ، ولاسِيَّما الفقهاء إذا رَأَوا العــامَّــةَ على الاستقــامة يتحدَّثون بما أنْعَمَ الله عليهم في بواطـنهم ، يضْحكــون منهم ، ويُظْهِــرُون لهم القَبــولَ عليهم ، وهم في بواطِنِهم على خلاف ذلـك ، فلا أقلَّ ـ يا أخي ـ إذا لم تَكُنْ منهم أن تُسَلِّم لهم أحوالهم ، فإنَّك ما رأيتَ منهـم ما ينكــره دينُ الله ، ولا ما يُردُّهُ الـعِـلْمُ الصحيح : النقـل والعقـل ﴿ إنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ

الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ [٨٣ سورة المطففين / الآيتان : ٢٩ و ٣٠] هكذا والله رأيتُ فقهاءَ هذا الزمان مع أهل الله ، يتغامزون عليهم ، ويضحكونَ منهم ، ويظهِرُون القَبولَ عليهم ، وهم على غير ذلك ؛ فاحذرْ مَنْ هذه صفتُهُ ، لئلاّ يَسْرقكَ الطبعُ ، فما أعظم خَسْرَتِهم يوم القيامة ، فهمُ ﴿ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ ، والعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ﴾ [٢ سورة البقرة / الآية : ١٧٥] و﴿ الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ [٢ سورة البقرة / الآية : ٨٦] ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُم وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [٢ سورة البقرة / الآية : ١٦] .

وصيـة : قال رضي الله عنه : وَإِيَّاكَ ومعاداة أهل لا إله إلَّا الله ؛ فإنَّ لها من الله الولاية العامة ، فهمْ أولياءُ الله وإنْ أخطأوا وجاءوا بقُرَاب الأرض خطايا لايشركون بالله شيئاً ، لَقِيَهُمُ الله بمثلها مغفرة ، ومن ثَبَتَتْ ولايتُهُ فقد حَرُمَتْ مُحاربتُهُ ، ومن حارب الله فقد ذَكَر الله جزاءَهُ في الدنيا والآخرة ، وكلُّ مَنْ لَمْ يطلعْكَ الله على عداوته لله ، فلاتتخذْه عدوّاً ؛ وأقل أحوالك إذا جهلته أن تُهْمِلَ أمْرَهُ ،

فإذا تحقَّقْتَ أنَّه عدوُ الله ـ وليس إلاَّ المشرك ـ فتبرأ منه كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام في حقّ أبيه آزَرَ ؛ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [٩ سورة التوبة / الآية : ١١٣] هذا ميزانُك ؛ يقول الله تعالى : ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ﴾ [٥٨ سورة المجادلة / الآية : ٢٢] كما فعل إبراهيم الخليل ﴿ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [٥٨ سورة المجادلة / الآية : ٢٢] وَمَتَى لاتَعْلَم ذلك فلاتعادِ عبادَ الله بالإمكان ، ولا بما ظهر على اللسان ، والذي ينبغي لك أن تكرَهَ فعله لا عَيْنَه ؛ العدوّ للّهِ إنَّما تَكْرَهُ عَيْنَه ؛ ففرِّقْ بين من تكرَهُ عَيْنَه ، وهو عدوّ الله ؛ وبين من تَكْرَهُ فعله ، وهو المؤمن ؛ أو مَنْ تجهلُ خاتِمَتَهُ مِمَّنْ ليس بمسلم في الوَقْت وَآحْذَرْ قولَهُ تعالى في « الصحيح » عنه « مَنْ عَادَى لي وَلِياً فَقَدْ آذَنْته بالْحَرْب » [البخاري ، رقم : ٦٥٠٢] فإنَّه إذا جَهِلَ أمْرَهُ وعاداه فما وَفَّى حقَّ الحقِّ في خلقه ؛ فإنَّه لايَدْري

علمَ الله فيه ، وما بَيَّنه الله له حتى يتبرّأ منه ويتَّخِذه عدوّاً ؛ وإذا عُلِمَ حالُـه الظاهرُ ، وإن كانَ عدوّاً للهِ في نَفْسِ الأمر وأنت لاتعلم ، فَوَالِـهِ لإقـامـةِ حَقِّ الله ؛ ولاتعادِهِ ؛ فإنَّ الاسمَ الإلهيّ الـظاهِـرَ يخاصِمُك عند الله ، فلاتجعل للهِ عليك حجةً فتهلَكَ ؛ فإنَّ للهِ الحجةَ البالغة ؛ فعامِلْ عبادَ الله بالشفقـة والـرحمـة ؛ كما أنَّ الله يَرْزقُهم على كُفْـرِهم وشِرْكِهم مع علمه بهم ، وما رَزَقَهم إلاَّ لعلمِهِ بأنَّ الذي هم فيه ماهم فيه بِهِمْ ، بل هُمْ فيه بِهِ لما قَدْ ذَكَرْنَا بلسان العمـوم أنَّ الله تعالى خالِقُ كلِّ شيء ، وكفرُهم وشركُهم مخلوقٌ فيهم ؛ وبلسان الخصوص ماظهر حكم في موجود إلاَّ بما هو عليه في حال العدم في ثبوته الذي علمه الله منه ، ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّـةُ الْبَـالِغَـةُ ﴾ [٦ سورة الأنعـام / الآية : ١٤٩] على كلِّ أحدٍ مهما وَقَع نزاعٌ ومحاجة ، فسلِّم الأمْرَ إلـيه ؛ واْعْلم أنَّـك على ماكنت عليه ؛ وعِمَّ برحمتِـكَ وشفَقَتِـكَ جميع الحيوان والمخلوقين ، ولاتَقُلْ : هذا نباتٌ وجمادٌ ماعِنْدَهُم خبرٌ ؛ نعم عندهم أخبار ؛ أنْت ماعندك

خَبَر ؛ فاتركِ الوجودَ على ماهو عليه ؛ وارْحَمْه برحمةٍ موجَدَةٍ في وجـوده ، ولاتنـظر فيه من حيث لايقـام فيه في الوقت ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّـذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [٩ سورة التـوبة / الآية : ٤٣] فيتعينً عليك عند ذلك أنْ تَتَّخِذَهُم أعداءً لأمرِ الله لكَ بذلك ؛ حيثُ نهاك أنْ تَتَّخِذَ عدوَّه ولياً ، تُلْقِي إِلَيْه بالمودَّة ؛ فإنِ آضطرَّك ضعفُ يقين إلى مداراتهم فدارِهِم من غَيْرِ أنْ تُلْقِي إليهم بمودّة ، ولكن مسالمة لدَفْع الشرِّ عَنْك ؛ فَفَوِّضِ الأمْرَ إليه ، واعتمدْ في كلّ حال عليه إلى أنْ تلقاه .

وصية : قال رضي الله عنه : وعليكَ بالتودُّدِ لعباد الله من المؤمنين بإفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، والسعي في قضـاء حوائجهم ؛ وآعلمْ أنَّ المؤمنـين أجمعهم جسـدٌ واحدٌ ، كإنسانٍ واحدٍ ؛ إذا آشتكى منه عضوٌ تداعَى له سائرُ الجسد بالحُمَّى ؛ كذلك المؤمِنُ إذا أُصيبَ أخوه المؤمن بمصيبةٍ ، فكأنَّه أُصيبَ بها، فيتألَّم لتألُّـمِهِ، ومتى لم يفعلْ ذلك المؤمن مع المؤمنين فما ثَبَتَتْ أُخوَّةُ الإيمان بينه وبينهم ،

فإنَّ الله واخى بين الْمُؤمنين ، كما واخى بين أعضاء جسد الإنسان ؛ وبهذا وَقَعَ المثل من النبي ﷺ في الحديث الثابت ، وهو قوله ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَعاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ ، إذا ٱشْتَكى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالحُمَّى والسَّهَرِ » .

وٱعلمْ أنَّ المؤمنَ كثيرٌ بأخيه ، وأنَّ المؤمنَ لـمّا كان من أسماء الله مع ماينضاف إلى ذلك من خَلْقِه على الصورة ، ثَبَتَ النَّسَبُ ، والْمُؤْمِنُ أخو الْمُؤْمِن لايُسْلِمُهُ ، ولايَخْذُلُهُ ، فَمَنْ كان مؤمِناً بالله حَيْثما هو مؤمِنٌ ، فإنَّهُ يصدِّقُه في فعله وقوله وحاله ، وهذه هي العصمة ، فإنَّ الله من كونه مؤمناً يصدِّقهُ في ذلك ، ولايصدِّق الله إلاَّ الصادق ، فإنَّ تصديقَ الكاذب على الله محالٌ ، فإنَّ الكذبَ عليه محالٌ ، وتصديقُ الكاذب كَذِبٌ بلاشك ، فَمَن ثَبَتَ إيمانُهُ بالله مِنْ كون الله مؤمناً ، فإنَّ هذا العبدَ لاشكَّ أنَّه من الصادقين في جميع أمورِه مع الله ، لأنه مؤمِنٌ بأنَّ الله مؤمِنٌ به أيضاً ، فتنبَّه لما دَلَلْتُكَ عليه ووَصَّيْتُكَ به في الإيمان بالله من كَوْنِهِ مؤمناً

تَنْتَفِعْ ، فإنِّي قد أَرَيْتُكَ الطريقَ المُوصِلَ إلى نَيْلِ ذلك ؛ وٱعْتَصِم بالله ، ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٣ سورة آل عمران / الآية : ١٠١] فإنَّ الله على صراطٍ مستقيم ، وليس ذاك إلَّا ما شرعه لعباده .

وصية : قال رضي الله عنه : إذَا رأيْتَ أنصارياً أو أنصارية ، وإنْ كان عدوّاً لك ، فلْتُحبَّه الحبّ الشديد ؛ وٱحْذَرْ أنْ تبغضَهُ فتخرجَ من الإيمان ، فإنَّ النبيّ ﷺ لَقِيَ امرأةً من الأنصار في طريقه ، فقال لها : « إنَّكُمْ لَمِنْ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ إليَّ » وثبتَ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « آيَةُ الإِيمانِ حُبُّ الأنْصَارِ ، وآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأنْصَارِ » .

وٱعلمْ أنَّ كلَّ من نَصَرَ دينَ الله في أي زمان كان ، فهو من الأنْصار ، وهو داخِلٌ في حُكْم هذا الحديث .

وٱعلمْ أنَّ الأنصارَ لدين الله رجلان : الواحدُ نَصَرَ دينَ الله ابتداءً من نفسه من غير أن يعرفَ وجوبَ ذلك عليه ، ورجلٌ عَرَفَ وجوبَ نُصْرةِ الدين عليه بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ ﴾ [٦١ سورة

الصف / الآية : ١٤] فأمَرَهُم بنُصْرَةِ الله ، فأدَّى واجباً في نُصْرَتـهِ ، فله أجْرُ النُّصْرَةِ وأجرُ أداء الواجب بما نَواهُ من امتثال أمر الله في ذلكَ وتعيَّنَ عليه ، ولو كفاه غَيْرُه مَؤونَة ذلـك ، فلاتتـأخّر عن أمر الله ؛ ونُصْرَة الله قد تكونَ بما يعطى من العلم المُظْهِر للحقّ الدافِع للباطل ؛ فهو جهادٌ مَعْنَـويٌّ محسوسٌ ؛ فكونه معنوياً لأنَّ الباطن يقبله ؛ فإنَّ العِلْمَ متعلقه النفس ؛ وأمَّا كونُه مَحْسوساً فيما يتعلَّق بذلك من العبـارة عنه باللسان أو الكتابة ؛ فيحصل للسامع أو النـاظـر بطريق السمـع من المتكلم أو بطريق النـظر من الكتابة ؛ وجهادُ العدوّ نُصرَةٌ محسوسةٌ ماهي معنوية ؛ فإنَّهُ مانالَ العدوُّ من المقاتِل له شيئاً في الباطن يردُّهُ عن اعتقاده ، كما نالـه من العـالِم إذا عَلِمَـهُ وأصغى إليه ، ووفقـه الله للقبول ، وفَتَحَ عَيْنَ فَهمِهِ لما يوردُه عليه العالم في تعليمه ، وهي أعـظم نُصْرَة ، وهـو أعـظم أنْصَـارِيٍّ لله ؛ يقـول النبي ﷺ : « لأنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً واحِداً خَـيرٌ لَكَ مِمـا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ » وقد طَلَعَتِ الشَّمسُ على كلِّ عالِمٍ

عامِلٍ بخَيْر ، فأنْتَ خيرٌ منه إذا نَصَرْتَ لتعلِّمَ العالَمَ دينَ الله في نفس هذا المخاطب .

وصية بتنبيه : قال رضي الله عنه : قال ذو النُّون [المصري] : ثلاثةٌ مِنْ أعْلامِ الإيمان : اَغْتِمامُ القَلْبِ بمصائب المسلمين ، وبَذْلُ النَّصيحَةِ لَهُمْ مُتَجَرِّعاً لِمَرارَةِ ظُنُونِهِم ؛ وإرْشَادُهم إلى مَصالِحِهِم وإنْ جَهِلُوهُ وكَرِهُوهُ .

وقال محمد بن أحمد بن سَلَمَة : أوْصاني ذو النُّون : لاتشغلنَّك عيوبُ النَّاسِ عن عَيْبِ نَفْسِكَ ؛ لَسْتَ عَلَيْهِم بِرَقيبٍ .

ثم قال : إنَّ أحبَّ عباد الله إلى الله عزَّ وجلَّ أعْقَلُهُم عنه ؛ وإنَّما يستدلّ على تَمام عَقْلِ الرجل وتواضعه في عَقْله من حسْن استماعِه للمحدّث وإن كان به عالماً ، وسرعة قَبولِه للحقّ وإنْ جاءَ مِمَّن هو دونه ، وإقراره على نفسه بالخطأ إذا جاء به .

وصية : قال رضي الله عنه : وعليك بالهِجْرَةِ ،

ولاتَقُمْ بَيْنَ أظْهُر الكفَّار ، فإنَّ في ذلك إهانةَ دِين الإسلام وإعلاءَ كلمة الكُفْر على كلمة الله ، فإنَّ الله ما أَمَرَ بالقتال إلَّا لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُلْيا ، وكلمةُ الذين كفروا هي السُّفْلى ؛ وإيَّاكَ والإقامة أو الدخول تحت ذِمَّة كافرٍ ما ٱسْتَطَعْتَ .

وٱعلمْ أنَّ ٱلمُقِيمَ بين أظْهُـر الكفَّـار مع تمكُّنِـهِ من الخروج من بين ظهـرانيهم لاحَظَّ له في الإسـلام ، فإنَّ النبيّ ﷺ قد تبرَّأَ مِنْهُ ، ولايَتَبَرَّأُ رسولُ الله ﷺ من مُسْلم ، وقـد ثَبَتَ أنَّه ﷺ قال : « أَنَا بَرِيءٌ مِنْ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أظْهُـرِ ٱلمُشْرِكِـينَ » فما ٱعْتَبَرَ لَهُ كلمةَ الإسلام ، وقال الله تعـالى فيمَنْ ماتَ وهو بين أظْهُر ٱلمشْرِكين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ، قَالُوا : فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالُوا : كُنَّـا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْض ، قَالُوا : أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَـةً فَتُهَـاجِـرُوا فِيهَـا ؟ فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [٤ سورة النساء / الآية : ٩٧] .

الفصل الخامس
في
شرح معنى الحب في الله والبغض في الله

قال الإمام الغَزَالي في « الإحياء » :

ٱعلَمْ أنَّ الحبَّ في الله والبغضَ في الله غامض ، ويَنْكَشِفُ الغَطاءُ عنه بما نذكره ، وهو : إنَّ الصُّحْبَةَ تَنْقَسِمُ إلى مايَقَع في الاتفاق ، كالصّحبة بسبب الجِوَار ، أو بسبب الاجتماع في المَكْتَبِ ، أو في المدرسة ، أو في السوق ، أو على باب السلطان ، أو في الأسفار ؛ وإلى مايَنْشأُ ٱخْتياراً ويُقْصَدُ ، وهو الذي نريدُ بيانَه ، إذِ الأخوَّة في الدين واقعةٌ في هذا القسم لامحالة ، إذْ لاثوابَ إلَّا على الأفعال الاختيارية ، ولا ترغيبَ إلّا فيها . والصُّحبَةُ عبارةٌ عن المجالسة والمخالَطة والمجاورة ، وهذه الأمور لايَقْصِدُ

الإِنسان بها غيرهُ إلَّا إذا أحبَّهُ ، فإنَّ غَيْرَ المحبوب يُجْتَنَبُ ويباعَدُ ولاتُقْصَدُ مخالطَته ؛ والذي يُحَبُّ ، فإمَّا أنْ يُحَبَّ لذاتهِ لا لِيُتَوَصَّلُ به إلى محبوبٍ ومقصودٍ وراءه ، وإمَّا أن يُحَبَّ للتوصُّلِ به إلى مقصودٍ . وذلك المقصود ، إمَّا أن يكون مقصوداً على الدنيا وحُظوظِها ، وإمَّا أنْ يكون متعلِّقاً بالآخرة ، وإمَّا أنْ يكون متعلِّقاً بالله تعالى ؛ فهذه أربعة أقسام .

القسم الأول : حُبُّكَ الإِنسان لذاتِه ، بمعنى : إنَّك تَلْتَذُّ برؤْيَتِه ومعرفَتِه وأخلاقِه لاستحسانِك له ، لصورتِهِ الظاهرة ، أو كمال عقله وحسن أخلاقه ، وللموافقة والمناسبة بين الطباع .

وهذا الحبُّ لايدخلُ فيه الحبُّ لله ، بل هو حُبٌّ بالطَّبْع وشَهْوَةِ النَّفسِ ، إلَّا أنَّهُ إنِ اتَّصَل بِهِ غرضٌ مذْمومٌ صار مذْموماً ، كحُبِّ الصورة الجميلة لقضاء الشهوة ، حَيْثُ لايحلُّ قضاؤها ، وإن لم يتَّصل به غَرَضٌ مذمومٌ فهو مباح ، لايُوصَفُ بحَمْدٍ ولا ذَمٍّ .

القسم الثاني : أنْ يُحبَّهُ لينال من ذاتِهِ غير ذاته ، فيكون وسيلةً إلى محبوبٍ غيره . والوسيلةُ إلى المحبوب محبوبٌ ، وما يُحَبُّ لغيرِهِ كان ذلك الغيرُ هو المحبوبُ بالحقيقة ، ولكن الطريق إلى المحبوب محبوبٌ . ولذلك أحبَّ النَّاسُ الذهبَ والفِضَّة ولا غرض فيهما ، إذْ لا يُطْعمانِ ولا يُلْبَسان ، ولكنَّهما الوسيلة إلى المَحْبُوبات . فَمِنَ النَّاسِ من يُحَبّ كما يُحَبُّ الذهبُ والفضةُ ، من حيث إنَّهُ وسيلةٌ إلى المقصود ، إذْ يتوصَّلُ به إلى نَيل جاهٍ أو مالٍ أو علمٍ ، كما يُحِبُّ الرَّجلُ سلطاناً لانتفاعه بمالِهِ أو جاهِهِ ، ويحب خواصَّه لتحسينهم حالَهُ عندَه ، وتمهيدهِم أمْرَه من قلبه ؛ فالمتوسَّلُ إليه إن كان مقصورَ الفائدة على الدنيا لم يكن حُبُّهُ من جملة الحُبِّ في الله . وإنْ لم يكنْ مقصورَ الفائدة على الدنيا ، ولكنه ليس يُقْصَدُ به إلاَّ الدنيا ؛ كحبِّ التلميذ لأستاذه ، فهو أيضاً خارج عن الحبِّ لله ، فإنَّه إنَّما يُحِبُّهُ ليحصِّلَ منه العلمَ لِنَفْسِهِ ، فمحبوبُهُ العلمُ ، فإذا كان لا يقصد العلمَ للتقرّب إلى الله ، بل لينال به الجاهَ والمالَ والقبولَ عند

الخلق ، فمحبوبه الجاهُ والقبولُ ، والعلمُ وسيلةٌ إليه ، والأستاذ وسيلةٌ إلى العِلْم ؛ فليس في ذلك حُبٌّ لله ، إذ لا يتصوَّرُ كلُّ ذلك مِمَّن لا يؤمن بالله تعالى أصلاً .

ثمَّ يَنْقَسِمُ هذا أيضاً إلى مذموم ومباح ، فإنْ كان يقصدُ به التوصُّلَ إلى مقاصدَ مذمومةٍ ، مِنْ قَهْر الأقْرانِ وحيازة أموال اليتامى ، وظلم الرعية بولاية القضاء أو غيره ؛ كان الحبُّ مذموماً ؛ وإن كان يقصدُ به التوصُّلَ إلى مباح ، فهو مباح . وإنَّما تَكْتَسِبُ الوسيلةُ الحُكْمَ والصفةَ من المَقْصَدِ المتوصَّل إليه ، فإنَّها تابعةٌ له غير قائمةٍ بنفسها .

القسم الثالث : أنْ يحبَّهُ لا لذاتِهِ ، بل لِغَيْرِهِ . وذلك الغيرُ ليس راجعاً إلى حظوظِهِ في الدنيا ، بل يرجِعُ إلى حظوظِهِ في الآخرة . فهذا أيضاً ظاهرٌ لا غموض فيه . وذلك كَمَنْ يُحبُّ أستاذَه وشَيْخَهُ لأنَّهُ يتوصَّلُ به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل . ومقصودُهُ من العلم والعمل الفوزُ في الآخرة ، فهذا من جملة المحبِّين في الله ؛ وكذلك من يُحبُّ تلميذَهُ ، لأنَّه يتلقَّفُ منه العلمَ ، وينال بواسطته رُتْبَةَ

التعليم ، ويرقى به إلى درجة التَّعْظيم في ملكوت السماء ، إذ قال عيسى عليه السلام : « مَنْ عَلِمَ وعَمِلَ وَعَلَّمَ ، فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيمًا في مَلَكُوتِ السَّماءِ » بَلِ الَّذي يتصرَّفُ بأمواله لله تعالى ، ويجمَعُ الضيفان ، ويُهَيِّءُ لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة تقرُّباً إلى الله ، فأحبَّ طَبَّاخاً لِحُسْنِ صَنْعَتِهِ في الطَّبْخ ، فهو مِنْ جُمْلَةِ المحبِّين في الله . وكذا لو أَحَبَّ مَنْ يتولَّىٰ له إيصال الصدقة إلى المستحقِّين ، فقد أحبَّه في الله ؛ بل نزيدُ على هذا ونقول : إذا أحبَّ مَنْ يَخدِمُهُ بنَفْسِهِ في غَسْلِ ثيابِه وكَنْسِ بيته ، وطَبْخِ طعامه ، ويفرِّغُه بذلك للعلم أو العمل ، ومقصودُهُ من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة ؛ فهو محبٌّ في الله ؛ بل نزيد عليه ونقول : إذا أحبَّ من يُنْفِقُ عليه من مالِهِ ، ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه ، وجميع أغراضه التي يقصدها في دنياه ، ومقصودُهُ من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرِّب إلى الله تعالى ، فهو محبٌّ في الله ؛ فقد كان جماعةٌ من السلف تكفَّلَ بكفايتهم جماعةٌ من أُولي الثروةِ ، وكان المواسي والمواسَىٰ

جميعاً من المتحابِّين في الله ؛ بل نزيد عليه ونقول : من نَكَحَ ٱمرأةً صالحةً لِيتحصَّنَ بها عن وسواس الشيطان ، ويصونَ بها دينه ، أو لِيُولَدَ منها لَهُ ولدٌ صالحٌ يدعو له ، وأحبَّ زوجته لأنَّها آلةٌ إلى هذه المقاصد الدينية ، فهو محبٌّ في الله . ولذلك وردَتِ الأخبارُ بوفورِ الأجرِ والثواب على الإنفاق على العيال ، حتى اللقمة يضعها الرجلُ في فيِّ امرأته ؛ بل نقول : كلُّ من استهتر ـ أي : استغرق ـ بحبِّ الله وحبِّ رضاه وحبِّ لقائه في الدار الآخرة ، فإذا أحبَّ غيره كان مُحِبّاً في الله ، لأنَّه لايتصوَّرُ أن يحبَّ شيئاً إلاَّ لمناسبته لما هو محبوبٌ عنده ، وهو رضا الله عزَّ وجلَّ ؛ بل أزيدُ على هذا القول وأقول : إذا اجتمعَ في قَلْبِهِ محبتان : محبَّة الله ، ومحبَّة الدنيا ، وٱجْتَمَعَ في شخص واحدٍ المعنيان جميعاً ، حتى صَلُحَ لأنْ يتوصَّل به إلى الله تعالى وإلى الدنيا ، فإذا أحَبَّه لصلاحه للأمْرَيْن ، فهو من المحبِّين في الله ؛ كَمَنْ يحبُّ أستاذَه الَّذي يعلِّمه الدينَ ، ويكفيه مهمّات الدنيا بالمواساة في المال ، فأحبَّه من حيث إنَّ في

طَبْعِه طلب الراحة في الدنيا ، والسعادة في الآخرة ؛ وهو وسيلةٌ إليهما ؛ فهو محبٌّ في الله .

وليس من شَرْطِ حُبِّ الله أن لايُحِبَّ في العاجل حَظّاً أَلْبَتَّةَ ، إذِ الدعاء الَّذي أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جَمْعٌ بين الدنيا والآخرة ، ومن ذلك قولهم : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [٢ سورة البقرة / الآية : ٢٠١] .

وقال عيسى عليه السلام في دعائه : « اللَّهُمَّ لاتُشَمِّتْ بي عَدُوِّي ، ولاتَسُوء بي صَدِيقي ، ولاتَجْعَلْ مُصِيبتِي في دِيني ، ولاتَجْعَلِ الدُّنْيا أكْبَرَ هَمِّي » فدفعُ شماتَةِ الأعداء من حظوظ الدنيا ، ولم يَقُل : ولا تَجْعَلِ الدُّنيا أصلاً مِنْ هَمِّي ، بل قال : لاتَجْعَلْها أكْبَرَ هَمِّي .

وقال نبيُّنا ﷺ في دعائه : « اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً أَنالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ » .

وقال ﷺ : « اللَّهُمَّ عَافِنِي مِنْ بَلاءِ الدُّنْيَا وبَلاءِ الآخِرَةِ » .

وعلى الجملة ، فإذا لَمْ يكُنْ حبُّ السعادة في الآخِرَةِ مناقِضاً لحبِّ الله تعالى ، فحبُّ السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا ، كيف يكون مناقضاً لحبِّ الله ! والدنيا والآخرة عبارةٌ عن حالتين ، إحداهما أقرب إلى الأخرَى ، فكيف يتصوَّر أن يحبَّ الإنسان حظوظَ نفسه غداً ولا يحبّها اليوم ؟! وإنَّما يحبُّها غداً لأنَّ الغدَ سيصير حالاً راهنة ، فالحالةُ الراهنةُ لا بُدَّ أن تكون مطلوبةً أيضاً . والمقصود من هذا أنَّه لو أحبَّ أستاذَه لأنَّه يواسيه ويعلِّمه ، أو تلميذَه لأنَّه يتعلَّم منه ويخدمه ، وأحدُهما حظٌّ عاجِل ، والآخر آجل ؛ لكان في زُمْرَةِ المتحابِّين في الله ، ولكنْ بشرطٍ واحدٍ ، وهو أن يكون بحيث لو منعه العلمُ مثلاً ، أو تعذَّر عليه تحصيله منه ، لنقص حبُّه بسبَبِهِ ، فالقَدْرُ الَّذي ينقصُ بسبَب فَقْدِهِ هو لله تعالى ، وله على ذلك القَدْر ثوابُ الحبِّ في الله ، وليس بِمُسْتَنْكَرٍ أن يشتدَّ حبُّك لإنسان لجملة أغراض ترتَبطُ لَكَ به ، فإنِ آمْتَنَعَ بعضُها نقصَ حُبُّكَ ، وإن زادَ زادَ الحبُّ ، وَلَا يَسْتَحيلُ آجتماعُ الأغراضِ الدنيوية

والأخروية ، فهو داخِلٌ في جملة الحبِّ لله ، وحدُّهُ هو أنَّ كلَّ حُبٍّ لولا الإيمان بالله واليوم الآخِر لم يتصوّر وجوده ، فهو حبٌّ في الله ؛ وكذلك كلُّ زيادةٍ في الُحبِّ لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة ، فتلك الزيادة مِنَ الحبِّ في الله ؛ فذلك وإنْ دَقَّ فهو عَزيزٌ .

القسم الرابع : أن يحبَّه لله ، وفي الله ، لا لينال منه عِلْمًا أو عملاً ، أو يتوصل به إلى أمر وراء ذاته ؛ وهذا أعلى الدرجات ، وهو أدقُّها وأغْمَضُها .

وهذا القسم أيضاً مُمْكِنٌ ، فإنَّ من آثار غَلَبَةِ الُحبِّ أن يتعدَّى من المَحْبُوب إلى كلِّ مايتعلَّق بالمحبوب ويناسبه ، ولو مِنْ بُعْدٍ ، فَمَنْ أحبَّ إنساناً حُبَّاً شديداً أحبَّ مُحِبَّ ذلك الإنسان ، وأحبَّ محبوبَهُ ، وأحبَّ من يخدِمُهُ ، وأحبَّ من يُثْني عليه محبوبُهُ ، وأحبَّ من يَتَسارَعُ إلى رضى محبوبه ، حتى قال بَقِيَّةُ بن الوَليد : « إنَّ المُؤمِنَ إذَا أحَبَّ المُؤمِنَ أحبَّ كَلْبَهُ » وهو كما قال ، ويشهدُ له التجربة ، ولكن ذلك من خاصِيَّة فرط المَحَبَّة، فأصْلُ المحبَّة لايكفي فيه،

ويكـون اتساع الحبِّ في تعدِّيه من المحبوب إلى مايكتنفه ويحيط به ويتعلق بأسبابـه بحسب إفراط المحبَّة وقوَّتها ، وكذلك حبُّ الله سبحانه وتعالى إذا قَويَ وغَلَبَ على القَلْبِ استـولى عليه حتى انتهى إلى حدِّ الاستهتـار ـ أي : الاستغراق في الُحبِّ ـ فيتعدَّى إلى كلِّ موجودٍ سواه ، فإنَّ كلَّ موجـودٍ سواه أَثَـرٌ من آثار قُدْرَتِهِ . ومَنْ أحبَّ إنساناً أحبَّ صَنْعَتَهُ وخطَّه وجميع أفعاله ، ولذلك كان ﷺ إذا حُمِلَ إليه باكـورَةَ الثَّمـر مَسَحَ بها عينَيْه وأكْرَمَها ، وقال : « إنَّهُ قَريبُ العَهْدِ بِرَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ » .

وحبُّ الله تعـالى ، تارةً يكـون لصـدْقِ الرَّجاء في مواعيدِهِ وما يتوقع في الآخرة من نعيمه ، وتارةً لما سَلَفَ من أياديه وصُنوف نِعَمِهِ ، وتارةً لذاته لا لأمْرٍ آخر ، وهو أدَقُّ ضُروب المَحَبَّةِ وأعلاها ، وكَيْفَما ٱتَّفَقَ حبُّ الله تعالى ، فإذا قَويَ تعـدَّى إلى كلِّ متعلِّقٍ به ضربـاً من التعلّق ، حتّى يتعدَّى إلى ماهو في نفسه مؤلِمٌ مكروهٌ ، ولكن فرط الحبِّ يُضْعِفُ الإحساسَ بالألَم ، وقد انتهتْ محبَّةُ الله تعالى بِقَوْمٍ

إلى أنْ قالوا : لانُفَرِّقُ بين البلاء والنِّعْمَةِ ، فإنَّ الكُلَّ من الله تعالى ، ولانَفْرَحُ إلَّا بما فيه رِضاه .

قال سَمْنُونُ :

وَلَـيْسَ لِي فِي سِوَاكَ حَظٌّ فَكَيْفَـمَا شِئْتَ فَٱخْتَـبِرْنِي

[فَٱختبره الله ، فَنَدِم] .

والمقصودُ : إنَّ حبَّ الله تعالى إذا قَوِيَ أثْمَرَ حبَّ كلِّ مَنْ يقوم بحقِّ عبادة الله في عِلْمٍ أو عملٍ ، وأثمرَ حبَّ كلِّ مَنْ فيه صفةٌ مرضيةٌ عند الله تعالى ، من خُلُقٍ حسن ، أو تأدُّبٍ بآداب الشرع . وما مِنْ مؤمنٍ محبٍّ للآخرة ، ومحبٍّ لله ، إلَّا إذا أُخْبِرَ عن حال رجلَيْنِ : أحدهما عالم عابد ، والآخـر جاهـل فاسق ؛ إلَّا وَجَدَ في نفسه مَيْلاً إلى العالم العابد ، ثم يضعف ذلك المَيْل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوَّتِه ، وبحسب ضعْفِ حُبِّه لله تعالى وقوَّتِهِ ، وهذا الميلُ حاصـلُ وإن كانـا غائبـين عَنْـهُ بحيث يعلم أنَّه لايصيبه منهما خَيْرٌ ولا شَرٌّ في الدنيا ولا في الآخرة ، فذلك المَيْل هو حبٌّ في الله ولله ، من غير حَظٍّ ، فإنَّه إنَّما يحبُّهُ لأنَّ الله تعالى يحبُّهُ ، ولأنَّهُ مرضي عند الله تعالى ، ولأنَّه يحبُّ الله تعالى ،

ولأنَّهُ مشغولٌ بعبادَةِ الله تعالى ، إلاَّ أنَّه إذا ضعفَ لم يظهرْ أثرُهُ ، فلايظهر له ثوابٌ وأجرٌ ، وإذا قَوِيَ حُمِلَ على الموالاةْ والنُّصْرَةِ والذبِّ بالنفسِ والمال واللسان ، وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حبِّ الله عزَّ وجلَّ .

ولو كان الحبُّ مقصوراً على حظٍّ ينال من المحبوب في الحال أو المآل ، لما تصوّر حبّ الأموات من العلماء والعباد ، ومن الصحابة والتابعين ، بل من الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه ؛ وحبُّ جميعِهم مكنونٌ في قلب كلِّ مسلمٍ متديِّن ، ويتبيّن ذلك بغَضَبِهِ عند طعن أعدائهم في واحدٍ منهم ، وبفرَحِهِ عند الثناء عليهم وذِكْرِ محاسِنِهِمْ ؛ وكلُّ ذلك حُبٌّ لله ، لأنَّهم خواص عباد الله تعالى ، ومن أحبَّ مَلِكاً أو شَخْصاً جميلاً أحبَّ خواصّه وخَدَمَه ، وأحبَّ مَنْ أحبَّه ، إلاَّ أنَّه يُمْتَحَنُ الحبُّ بالمقابلةِ بحظوظ النفس ، وقد يغلبُ بحيث لايَبْقى للنفس حظٌّ إلاَّ فيما هو حظُّ المحبوب ، وقد يكون المحبُّ بحيث يتركُ به بعض الحظوظ دون بعض ، كَمَن تَسْمَحُ نفسُهُ بأن يشاطر محبوبَه في نصفِ

مالِهِ ، أو في ثُلُثِهِ ، أو في عُشْرِهِ ؛ فمقاديرُ الأموال موازين المحبَّة ، إذ لاتُعرَفُ درجةُ المحبوبِ إلاَّ بمحبوبٍ يُتْرَكُ في مقابلَتِهِ ، فَمن استغرقَ الحبّ جميعَ قلبهِ لم يبقَ له محبوبٌ سواه ، فلايمسك لنفسه شيئاً ، مثل أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، فإنّه لم يتركْ لنَفْسِهِ أهلاً ولا مالاً ، فزوَّج ابنتَه السيدة عائشة رضي الله عنها للنبيّ ﷺ ، وبَذَلَ له جميعَ مالِهِ ، فَحَصَلَ من هذا أنَّ كلَّ من أحبَّ عالماً أو عابداً ، أو أحبَّ شخصاً راغباً في علم أو في عبادة أو في خير ؛ فإنَّما أحبَّه في الله ولله ، وله فيه من الأجر والثواب قَدْرَ قوَّةِ حُبِّه . فهذا شرحُ الحبِّ في الله ودرجاته . انتهى كلام الإمام الغزالي باختصارٍ في بعض الأقسام .

وقد ذكرَ المؤرِّخون أنَّ الإمامَ مالكاً قاسَمَ الإمام الشافعي مالَهُ مرَّتَيْنْ ، أعطاهُ نصفَ مالِهِ وهو متوجِّهٌ إلى العراق ، ثم بعد عودِهِ منها قاسَمَهُ مرَّةً أخرى ، وكانت له في المرَّة الثانية ثروةٌ واسعةٌ ، فأعطى نصفَها إلى الإمام الشافعي ، فصار غنياً بذلك النصف ، وفرَّقه على أقاربِهِ

حينما وصل إلى مكّة قبل أن يدخلها ؛ فرضي الله عنهما .

بيان البغض في الله تعالى

قال الإمام الغزالي في « الإحياء » أيضاً :

آعلمْ أنَّ كلَّ مَنْ يحبُّ في الله لابُـدَّ أن يُبْغِضَ في الله ، فإنَّكَ إذا أحبَبْتَ إنساناً لأنَّه مطيعٌ لله ، ومحبوب عند الله ، فإنْ عصاه فلابُدَّ أنْ تُبْغِضَهُ لأنَّه عاصٍ لله ، وممقوتٌ عنـد الله ؛ ومَنْ أحبَّ بسببٍ فبالضرورة يُبْغِضُ لضِدِّهِ ، وهـذان متـلازمـان ، لايَنْفَصِلُ أحدُهما عن الآخر ، وهو مُضْطَرِدٌ في الحبِّ والبُغْضِ في العادات ، ولكِنْ كلَّ واحدٍ من الحَبِّ والبُغض داءٌ دفينٌ في القلب ، وإنَّما يترشّح عند الغلبة ، ويترشّح بظهور أفعال المحبّين والمبغضين في المقاربة والمبـاعـدة ، وفي المخـالفة والموافقة ؛ فإذا ظَهَرَ في الفعل سُمِّيَ موالاةً ومعـاداةً ؛ ولـذلـك قال الله تعـالى لبعض أنبيائه : « هَلْ وَالَيْتَ فِيَّ وَلِياً ؟ وَهَلْ عادَيْتَ فِيَّ عَدُوّاً ؟»

وهذا واضحٌ في حَقِّ مَنْ لَمْ يُظْهِرْ لك إلَّا طاعاته ، إذْ تقدِرُ على أنْ تحبَّه ، أوْ لَمْ يُظْهِرْ لك إلَّا فُسقَه وفجورَه وأخلاقَه السيئة ، فتَقْدِر على أن تُبْغِضَه ؛ وإنَّما الْمُشْكِل إذا اختلطتِ الطاعاتُ بالمعاصي ، فإنَّك تقول : كَيْفَ أجمعُ بين البُغْض والمحبَّة وهما متناقضان ؟ وكذلك تتناقض ثَمَرَتُها من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة .

فأقولُ : ذلك غير متناقِض في حقِّ الله تعالى ، كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية ؛ فإنَّه مَهْما ٱجْتَمَع في شخصٍ واحدٍ خصالٌ يُحَبُّ بعضُها ويُكْرَهُ بعضُها ، فإنَّك تحبُّه من وجهٍ وتبغِضُه من وجهٍ ، كَمَنْ له زوجةٌ حسناءُ فاجرةٌ ، أو وَلَدٌ ذكيٌّ خدومٌ ولكنه فاسِق ، فإنَّه يُحبُّهما من وجهٍ ويبغضهما من وجهٍ ، ويكون معهما على حالةٍ بين حالتَيْن ، إذ لو فُرِضَ له ثلاثة أولاد : أحدُهم ذكي بار ، والآخر بَليدٌ عاقٌّ ، والآخر بليد بار أو ذكي عاق ؛ فإنَّه يصادِفُ نفسَه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم ؛ فكذلك ينبغي أن تكون أحوالك

بالإضافة إلى مَن غلبَ عليه الفجورُ ، ومن غَلَبَتْ عليه الطاعة ، ومن اجتمع فيه كلاهما ؛ متفاوتةً على ثلاثة مراتب ، وذلك بأن تُعْطي كلَّ صفةٍ حَظَّها من البُغْض والحُبِّ ، والإعراض والإقبال ، والصحبة والقطيعة ، وسائر الأفعال الصادرة منه .

فإن قلتَ : كلُّ مسلمٍ إسلامه طاعة منه ، فكيف أُبْغِضُهُ مع الإسلام ؟

فأقولُ : تُحِبُّهُ لإسلامِه ، وتُبْغِضُهُ لِمَعْصِيَتِه ، وتكون معه على حالةٍ لو قِسْتها بحالِ كافرٍ أو فاجرٍ أدركتَ تفرقةَ بَيْنهما ، فتلك التفرقةُ حبٌّ للإسلام وقضاء لِحَقِّه ، وقَدْرُ الجناية على حَقِّ الله تعالى والطاعة له كالجناية على حَقِّك والطاعةِ لكَ ، فَمَنْ وافَقَك على غَرَضٍ ، وخالَفَك في آخَرٍ ؛ تكون معه على حالةٍ متوسِّطةٍ بين الانقباض والاسْترسال ، وبين الإقبال والإعراض ، وبين التودد إليه والتوحّش عنه ، ولاتبالغ في إكرامه مبالغتك في إكرام من يوافِقُك على جميع أغراضِك ، ولاتبالغ في إهانَتِه مبالغَتَكَ

فِي إهانة من خالَفَك في جميع أغراضِكَ ؛ ثمَّ ذلك التوسّط تارةً يكون ميلُه إلى طَرَفِ الإهانة عند غلبة الجناية ، وتارةً إلى طَرَفِ المجاملة والإكرام عند غلبة الموافقة ؛ فكذا ينبغي أن يكون فيمَن يطيعُ الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرَّةً ولسخطه أخرى .

فإن قلتَ : فبماذا يُمْكِنُ إظهار البُغْض ؟

فأقول : أمَّا في القول ، فَبِكَفِّ اللسان عن مكالَمَتِهِ ومحادثَتِهِ مرَّةً ، وبالاستخفاف والتغليظ في القول أخرى ؛ وأمَّا في الفعل ، فبقطع السَّعْي في إعانَتِهِ مرَّةً ، وبالسَّعْي في إساءَتِهِ وإفساد مآربه أخرى ؛ وبَعْضُ هذا أشدّ من بَعْض ، وهو بحسب درجات الفِسْق والمعصية الصادرة منه . أمَّا مايجري مجرَى الهَفْوَة التي يُعْلَمُ أنَّه مُتَنَدِّم عليها ولايصرّ عليها ، فالأوْلى فيه السِّتْرُ والإغماض ؛ أمَّا ما أصرَّ عليه من صغيرةٍ أو كبيرةٍ ، فإنْ كان مِمَّنْ تأكَّدَتْ بَيْنَك وبينه مودةٌ وصحبةٌ وأخوةٌ ، فله حُكْمٌ آخرُ ، وأمَّا إذا لم تَتأكَّدْ أخوَّتُه وصحبَتُه ، فلابُدَّ من إظهار أثَرِ البغض ، إمَّا في

الإِعـراضِ والتبـاعُـدِ عنـه وقلّة الالتفـات إليه ، وإمّا في الاستخفـاف وتغليظ القَـوْل عليه ، وهـذا أشـدُّ من الإِعراض ، وهو بحسب غِلَظِ المَعْصِية وخِفَّتِها .

وكذلك في الفعل أيضاً رتبتان : إحداهما قطعُ المعونة والـرفق والنُّصْرَة عنـه ، وهـو أقـلّ الدرجات ؛ والأخرى السَّعْي في إفسادِ أغراضِه عَلَيْه ، كفِعْل الأعداء المُبْغِضِين ، وهذا لابُدَّ منه ، ولكن فيما يُفسِدُ عليه طريق المعصية ؛ أمَّا ما لايُؤثِّرُ فيه فلا . مثاله : رَجُلٌ عَصَى الله تعالى بِشُرْب الخَمْرِ ، وقد خَطَبَ امرأةً لو تَيَسَّرَ له نِكاحها لكان مغبوطاً بها بالمال والجمال والجاه ، إلاَّ أنَّ ذلك لايؤثِّر في مَنْعِه من شُرْب الخمر ولا في بعثه وتحريضه عليه ، فإذا قَدِرْتَ على إعـانتـه ليتمَّ لَهُ غَرَضُـه ومقصودُه ، وقدرتَ على تشويشه ليفـوتـه غَرَضـه ، فليس لك السعي في تشـويشـه ، أمَّا الإِعـانـة ، فلو تركْتَهـا إظهـاراً للغَضَب عليه في فِسْقِـه فلابأس ، وليس يَجِبُ تركُها ؛ إذْ رُبَّما يكونُ لك نيّةٌ في أن تَتَلَطَّف بإعانَتِه وإظهار الشفقة عليه ليعتقد مودَّتَك ويقبل

نَصْحَك ، فهذا حَسَنٌ وإن لم يظهر لك ، ولكن رأيتَ أنِ تُعِينَه على غَرَضِهِ قضاءً لِحَقِّ إسلامِه ، فكذلك ليس بممنوع ، بل هو الأحسن إن كانت معصيتُه بالجناية على حَقِّك أو حقٍّ من يتعلّق بك ؛ وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٢٤ سورة النور / الآية : ٢٢] إذْ تَكَلَّمَ مِسْطَحُ في واقعة الإِفْكِ ، فَحَلَفَ أبو بَكْرٍ أنْ يقطع عنه رِفْقَهُ ، وقد كان يواسيه بالمال ، فنزلت الآية مع عِظَمِ معصية مِسْطَح . وكان الصِّدِّيق رَضِي الله عنه كالمجنيِّ عليه في نفسه بتلك الواقعة ؛ والعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَ ، والإِحْسانُ إلى مَنْ أساءَ ، من أخلاق الصدِّيقين ؛ وإنَّما يَحْسُنُ الإحسان إلى مَنْ ظَلَمَكَ ، فأمَّا مَنْ ظَلَمَ غَيْرَكَ وعَصَى الله به ، فلا يَحْسُنُ الإِحسانُ إليه ، لأنَّ الإحسان إلى الظالم إساءةٌ إلى المظلوم ، وحقُّ المظلومِ أَوْلى بالمراعاة ، وتقويةُ قَلْبِهِ

بالإعراض عن الظالِم أحَبُّ إلى الله تعالى من تقويَتِهِ قلب الظالم ؛ فأمَّا إذا كنتَ أنْتَ المظلومَ ، فالأحسن في حقِّك العفْو والصفْح ؛ وطُرُقُ السَّلَفِ قد اختلفتْ في إظهار البُغْضِ مع أهل المعاصي ، وكلُّهم آتَّفَقُوا على إظهار البُغْضِ للظَلَمَةِ والمُبْتَدِعَة ، وكلِّ مَنْ عصى الله بمعصية متعدِّية منه إلى غيره ، فأمَّا من عَصَى الله في نفسه ، فمنهم من نَظَرَ بعَيْنِ الرحمة إلى العُصاة كلِّهم ، ومنهم من شَدَّد الإنكار واختار هَجْرَهم .

فإن قلتَ : فأقلُّ الدَّرجات في إظهار البغض الهَجْر والإعراض ، وقطع الرِّفْق والإعانة ، فهل يجب ذلك حتى يعصي العبدُ بتركه ؟

فأقول : لايدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والإيجاب ، فإنَّا نعلمُ أنَّ الذين شَرِبُوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله ﷺ والصحابة ماكانوا يهْجرُون بالكلِّيَّة ، بل كانوا منقسمين فيهم إلى مَنْ يُغْلِظُ القولَ عليه ويظهرُ البغضَ له ، وإلى من يُعْرِضُ عنه

ولايتعـرَّضُ له ، وإلى من يَنْظرُ إليه بعـين الرَّحمة ولايؤثر المقـاطعـة والتبـاعد ؛ فهذه دقائق دينية تختلف فيها طُرُقُ السـالكـين لطريق الآخرة ، ويكون عَمَلُ كلٍّ واحدٍ على مايقتضيه حالُه ووقتُه ، ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إمَّا مكروهة وإمَّا مندوبة ، فتكون في رتبة الفضائل ، ولاتنتهي إلى التحريم والإيجاب ، فإنَّ الداخل تحت التكليف أصلُ المعـرفـة لله تعـالى وأصلُ الحبّ ، وذلك قد لايتعدّى من المحبوب إلى غيره . وإنَّما المُتَعدَّى إفراطُ الحبِّ واستيلاؤه ، وذلـك لايدخـل في الفتوى وتحت ظاهر التكليف في حقِّ الخَلْق أصلاً .

بيان مراتب الذين يبغضون في الله ، وكيفية معاملتهم

وهم على أقسام :

القسم الأول : الكافر ، وهو إنْ كان محارباً يَسْتَحِقُّ القتلَ والإرقاق ، وليس بعد هذَيْن إهانة ؛ وأمَّا الذِّمِّيّ ،

فإنَّـه لايجـوز إيذاؤه إلاَّ بالإعـراض عنـه ، ونحو ذلك ؛ والأوْلى الكفّ عن مخالـطته ، ومعاملته ، ومواكلته ؛ وأمَّا الانبســاط معــه ، والاسـترسـال إليه كما يسـترسـل إلى الأصـدقـاء ، فهـو مكـروهٌ كراهـة شديدة ، يكاد ينتهي مايَقْـوَى منها إلى حَدِّ التحريم ، قال الله تعالى : ﴿ لاَتَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَـوْ كَانُـوا آبَـاءَهُمْ أَوْ أَبْنَـاءَهُمْ ﴾ [٥٨ سورة المجادلة / الآية : ٢٢] وقـال عزَّ وجـلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لاَتَتَّخِذُوا عَدُوِّيَ وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [٦٠ سورة الممتحنة] الآية : [١] وقال ﷺ : « اَلْمُسْلِمُ وَالْمُشْرِكُ لاَتَتَرَاءَىٰ نَارَاهُمَا » .

القسم الثاني : المبتدع ، وهو إمَّا أنْ يكونَ داعياً إلى بِدْعَتِهِ ، أو يكون من عوامّ النّاس ؛ فأمَّا الْمُبْتَدِع الذي يدعو إلى بدعته ، فإنْ كانَتِ البدعةُ بحيث يُكَفَّرُ بها ، فأمره أشدّ من الـذِّمِّيّ ، لأنَّه لايُقرُّ بجزية ، ولايسامح بعَقْد ذِمَّة ؛ وإن كان مما لايُكَفَّـرُ ، فأمْرُهُ بَيْنه وبين الله أخفّ من أمر

الكافر لامحالة ، ولكنّ الأمرَ في الإنكار عليه أشدّ منه على الكافر ، لأنَّ شَرَّ الكافر غير مُتَعَدٍّ ، فإن المسلمين اعتقدوا كُفْرَهُ ، فلايلتفتون إلى قوله ، إذ لايَدَّعِي لنفسه الإسلام واعتقاد الحقّ ، وأمَّا المبتدع الذي يدعو إلى البِدْعَةِ ويزعم أنَّ مايدعـو إليه حقٌّ ، فهـو سَبَبٌ لغـواية الخَلْق ، فشَرُّهُ متعدٍّ ، فالاستحباب في إظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنـه وتحقـيره والتشنيع عليه لبـدعتـه ، وتنفير النّاس عنه أشدّ ؛ وإن سَلَّمَ هذا المبتدعُ عليك في خلوةٍ فلابأس بِرَدِّ جَوابِهِ ، وإنْ علمتَ أنَّ الإعراضَ عنه والسكوتَ عن جوابِهِ يُقَبِّحُ في نفسـه بِدْعَتَـه ، ويؤثِّرُ في زَجْرِه ، فتركُ الجوابَ أوْلى ، لأنَّ جوابَ السَّلام ـ وإن كان واجباً ـ يسقُطُ بأدْنى غَرَضٍ فيه مصلحة ، حتّى يسقطَ بكونِ الإنسان في الحَمَّام أو في قضـاء حاجَتِـه ، وغَـرَضُ الـزَّجْـرِ أهمّ من هذه الأغراض . وإن كان في ملأ فَتَرْكُ الجواب أوْلى تنفيراً للنّاس عنـه ، وتقبيحـاً لِبِدْعَتِه في أعْيُنِهِم ، وكذلك الأوْلى كَفُّ الإحسان إليه ، والإعانة له ، لاسِيَّما فيما يظهر للخَلْق ،

قال عليه الصلاة والسلام : « مَنِ ٱنْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ أَمْناً وَإِيمَاناً ، وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَمَّنَهُ اللهُ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وَمَنْ أَلَانَ لَهُ وَأَكْرَمَهُ أَوْ لَقِيَهُ بِبِشْرٍ ؛ فَقَدِ ٱسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ » رواه أبو نعيم في « الحلية » عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وأمَّا المبتدع العاميّ الذي لايقدر على الدعوة ، ولايُخافُ الاقتداءُ به ، فأمرُهُ أهون ، والأوْلى أن لايُقابح بالتغليظ والإهانة ، بل يتلطّف به في النُّصْح ، فإنَّ قلوبَ العوام سريعةُ التقلُّب ، فإنْ لم ينفعِ النّصحُ ، وكان في الإعراض عنه تقبيح لِبدْعَتِهِ في عَيْنِهِ تأكّد الاستحباب في الإعراض ، وإنْ عُلِمَ أنَّ ذلك لايُؤثِّر فيه لجمود طَبْعه ، ورُسوخِ عقيدَتِهِ في قَلْبه ، فالإعراض أوْلى ، لأنَّ البِدْعة إذا لم يُبالَغْ في تقبيحها شاعَتْ بين الخَلْق وعَمَّ فسادُها .

القسم الثالث : العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده ، وهو لايخلو ، إمَّا أن يكون بحيث يتأذّى به غيُره ، كالظُّلْم ، والغَصْب ، وشهادةِ الزور ، والغَيبَة ، والإفساد

بين النـاس ، والَمشْي بالنَّميمـة ، وأمثالها ؛ فهؤلاء الأوْلى الإعــراضُ عنهم ، وتــركُ مخالــطتهم والانقبــاض عن معاملتهم ، لأنَّ المعصيةَ شديدةٌ فيما يرجع إلى إيذاء الَخلْق .

وإمَّـا أن يكـون العـاصي يُهَيِّءُ أسبـابَ الفِسْق ، ويسهِّل طُرُقَه للنّاس ، فهذا أخفّ من الأوّل ، فإنَّ المعصيةَ بين العَبْد وبين الله تعالى إلى العفو أقرب ، وهو أيضاً يقتضي الإهانة والإعراض عنه ، والمقاطعة وترك جواب السلام ، إذا ظُنَّ أنَّ فيه نوعاً من الزَّجْر له أو لِغَيْرِه .

وإمَّا أن يكونَ العاصي يُفَسَّقُ في نَفْسِه بشُرْب خَمْر ، أو ترك واجبٍ ، أو مقارَفَة محظور يخصه ، فالأمر فيه أخفّ من الأوَّلَيْن ، ولكنه في وقت مباشرته إن صُودِفَ يجب منعه بما يَمْتَنِعُ به منه ، ولو بالضَّرْب والاستخفاف ، فإنَّ النَّهيَ عن المنكـر واجبٌ ، وإذا فَرَغَ منـه ، وعُلِمَ أنَّ ذلـك من عادَتِهِ ، وهو مُصِرٌّ عليه ، فإنْ تحقَّق أنَّ نُصْحَه يَمنَعهُ عن العَوْدِ إليه وَجَبَ النّصـحُ ، وإن لم يتحقَّق ولكنـه يرجوه

فالأفضل النّصحُ والزّجرُ بالتلطُّف ، أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع ، فأمَّا الإعراض عن جواب سلامه ، والكفُّ عن مخالطته ، حيث يُعْلَمُ أنَّه يُصِرُّ ، وأنَّ النُّصْحَ ليس ينفعه ، فهذا فيه نظرٌ ، وسِيَرُ العلماء فيه مختلفة ، والصحيحُ أنَّ ذلك يختلف باختلاف نِيَّةِ الرَّجُل ، فعند هذا يقال : « الأعْمالُ بِالنِّيَاتِ » إذْ في الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع ، وفي العُنْف والإعراض نوع من الزَّجْر ، والمستفتى فيه القلبُ فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه فالأولى ضدّه ، إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كِبْر وعُجْب والتذاذ بإظهار العلوّ والإدلال بالصلاح ، وقد يكون رفقه في العاصي عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به إلى غرض ، أو لخوفٍ من تأثير وحشته ونفرته في جاهٍ أو مالٍ بظن قريبٍ أو بعيد ، وكلُّ ذلك تردّدٌ عن إشارات الشيطان وتخيّلاته ، وبعيدٌ عن أعمال أهل الآخرة ، فكل راغبٍ في أعمال الدين مجتهدٌ مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال ، والقلبُ هو المفتي فيه ، وقد

يُصيب الحقَّ في اجتهاده وقد يُخْطِىء ، وقد يُقْدِمُ على اتِّباع هواه وهو عالم به ، وقد يُقْدِم وهو بحكم الغرور ظانّاً أنَّه عامل لله وسالك طريق الآخرة ، ويدلّ على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله مارواه البخاري [رقم : ٦٧٨١] : أنَّ شَارِبَ خَمْرٍ ضُرِبَ بَيْنَ يَدَي رسول الله ﷺ مرات ، وهو يعودُ ، فقال واحدٌ من الصحابة : لَعَنَهُ الله ما أكثر مايَشْرَب ! فقال ﷺ : « لاتَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ أخِيكُمْ » وكأن هذا إشَارَةٌ إلى أنَّ الرفْقَ أوْلى من العنف والتغليظ . انتهى كلام الإمام الغزالي باختصار قليل ؛ وبه يتم الكتاب ، والحمد لله رب العالمين .